الفصل الثاني

سياسة الدولة الأموية نحو دول المغرب في فترة الانتقال ما بين هشام المؤيد بالله وسقوط الخلافة الأموية في قرطبة

(399 هـ ـ 422 / 1009 ـ 1031 م)

من المعروف أن امتداد نفوذ ، أي دولة من الدول ، وانتشاره خارج حدودها ، يرتبط ارتباط وثيقا بأوضاعها الداخلية ، وبمدى إمكانتها وقوتها وضعفها .

وعلاقة الدولة الأموية في الأندلس ، ببلاد المغرب ، في هذه الفترة غير واضحة ، لأن المصادر التاريخية المتداولة الآن بين أيدينا ، لم تتطرق اليها ، بل أهملت هذا الجانب إهمالا ، يكاد يكون كاملا ، ولعل السبب في ذلك يرجع ، الى عدم وجود سياسة معينة ، لخلفاء بني أمية مع دول المغرب في ذلك الوقت ، أو ان وجدت ، لم تكن ذات أهمية كبيرة ، مما أدى بالمؤرخين والرواة ، الى المعزوف عن ذكرها ، ويوجهون عناية أكبر ، لما يدور في ساحة الأندلس ذاتها من فتن داخلية ، وصراعات دموية بين الأندلسيين من جهة ، والبربر المغاربة من جهة أخرى ، في سبيل الاستيلاء على كرسي الخلافة . .

إلا أن هذا التبرير لا يمنع مطلقا أن أحاول قدر استطاعتي ، القاء بعض الضوء على جوانب هذه السياسة ، ونوعية العلاقة الأندلسية المغربية في هذه الفترة ، من خلال النصوص الشحيحة والإشارات العابرة المتناثرة ، التي تمكنت العثور عليها في ثنايا المصادر القليلة التي في متناول أيدينا .

سقوط العامريين :

وقد رأيت أنه من المفيد ، أن أتطرق الى الظروف ، التي قامت فيها الحرب الأهلية في الأندلس ، ومراحل تطورها بايجاز ، والصراع الطويل والمرير ، الذي دار بين الأندلسيين والمغاربة ، وما تسبب عنه من ضعف الدولة الأموية ، ثم سقوطها نهائيا ، لتكون الصورة واضحة ومتكاملة .

فمن المعلوم أنه حدثت في أيام الدولة الأموية ـ كما سبقت الاشارة ـ هجرات مغربية كثيرة ، معظمها من قبائل زناتة البترية ، التي كانت موالية لبني أمية في الأندلس ، ومن الثابت أيضا أن الخلفاء الأمويين كانوا يغدقون الاعطيات عليهم ، ولا يضنون بها ، ويرحبون بقدومهم ، ويولونهم الأعمال ويشجعونهم بمختلف الطرق والوسائل الممكنة ، على العبور الى بلاد الأندلس ، حيث اشركوهم في قيادة الجيوش ، واعتمدوا عليهم اعتمادا كبيرا سواء في حركة الجهاد المقدس ضد النصارى في الثغور الشمالية ، أو في محاربة النفوذ الفاطمي في الشمال الافريقي . وهكذا أصبحت قبايل المغرب ، التي تمتاز بالروح الحربية العالية ، والتفوق في القتال ، معينا لاينضب يستمد منها الجيش الأندلسي حاجته من المقاتلين في كل حين .

وقد تضاعف عدد هذه الهجرات ، في أيام الدولة العامرية ، وبالتحديد في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر صاحب الدولة ، وكافل الخلافة الأموية ، الذي استدعى كثيرا منهم للخدمة في قواته ، واستعان بهم في تثبيت حكمه ، وتوطيد أركان سلطانـــه .

وبالإضافة الى رجال زناتة ، وبني برزال ومكناسة ، الذين قدموا إليه زرافات ووحدانا ، عن طيب خاطر ، وفد عليه كذلك ، فريق آخر من المغاربة لا يقل أهمية عن قبائل زناتة ، هوفريق بني زيري الصناهجة ، فنظمهم في طبقات جنده من المغاربة ، وسائر رجال البربر ، وأحسن اليهم ، وأكرم وفادتهم واصطنعهم لنفسه ، واستعملهم في الوظائف السامية ، واتخذهم بطانة لدولته ، وأصبحوا منذ ذلك الوقت ، عصبة له ودعامة قوية تسند ظهره ، فاعتزبهم أمره واشتد ازره ، وادال بهم عساكر الأموية ، وتغلب على القبائل العربية ، حتى أسقط رجال الدولة ومحا رسم الخلافة (1) .

حينئذ أنقلبت نفوس الأمويين والأندلسيين على المغاربة ، وسقطت قلوبهم عليهم وخزرتهم عيونهم فأصبحوا يضمرون لهم الشر والكراهية ، ويحقدون عليهم سلبهم الامتياز ، الذي كانوا يتمتعون به قبل مجيئهم الى الأندلس ، وينقمون عليهم مظاهرتهم للعامريين ، ونسبوا إليهم تغلب المنصور وولديه من بعده على الدولة ، واعتبروا وفود هؤلاء المغاربة الى

---

(1) ابن خلدون : العبر ، ج 2 ص 367 .

أرض الأندلس ، والخدمة في جيشهم احتلالا مغربيا مقنعا لهم ، فراحوا يترقبون الفرص المواتية للوثوب عليهم .

ومما زاد الطين بلة ، تولى أمر الحجابة عبد الرحمن شنجول ، بعد وفاة أخيه عبد الملك ، ولم يكن ليتمتع بالخصال ، التي كان يتمتع بها والده وأخوه وهي قوة الشخصية ، والشدة والحزم وبعد النظر ، فتعجل بتلقيب نفسه بالناصر ثم المأمون ، وتسمى بالحاجب الأعلى ناصر الدولة ، وافتتح عهده بالخلاعة والمجون ، وانغمس في اللهو والملذات ، ولم يكتف بهذا ، بل تطلع الى ما لم يتطلع إليه أبوه أو أخوه من قبل ، وهو وراثة العرش الأموي في الأندلس ، والاستئثار بما تبقي لهم من رسوم الخلافة ، فحمل الخليفة هشام المؤيد ، على أن يعهد إليه بولاية العهد ، ليقوم بأمر المسلمين من بعده ، ولم يجد هشام بدا من تلبية رغبته ، لضعفه ، وسوء تدبيره ، ونقصان فطرته (1) .

ظن عبد الرحمن شنجول بن المنصور ، أن مقاليد الأمور ، قد آلت إليه وحده ، فانتابه الغرور ، وأنفذ بهذه المناسبة الكتب الى مختلف الأقاليم في الأندلس ، وبلاد المغرب يخبرهم بذلك ، ويأمرهم بالدعاء له بالعهد ، بعد الدعاء للخليفة هشام المؤيد بالله (2) .

كما أستمر في متابعة سياسة أبيه ، وفي الاعتماد على العناصر المغربية ، والاستخفاف ببني أمية وبرجال الدولة العرب الاندلسيين واستفزازهم حتي وصل الأمر به الى التدخل في شؤونهم الخاصة ، بحيث فرض عليهم أن يتزيوا بالزي المغربي ، وخلع القلانس الطوال المرقشة الملونة ، التي كانو يتميزون بها عن العامة ، ويتباهون بها على طبقات الرعية ، واستبدالها بالعمائم المغربية ، وتوعدهم ان هم لم يفعلوا ذلك

فمن الطبيعي أن تثير هذه التصرفات حفيظة الأمويين وأنصارهم الأندلسيين ، وهزتهم هذه التصرفات المريبة هزا عنيفا ، وعز عليهم أن تنتقل الخلافة من ايدي عصبتهم المضرية ، الى أيدي الأسرة العامرية اليمنية القحطانية ، بعد صدور قرار ولاية العهد من هشام المؤيد (3) ، فثارت ثائرتهم ، وازعجهم هذا الحادث ، فضاقت الدنيا بهم ،

---

(1) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 38

(2) ابن عذارى : المرجع السابق ، جـ 3 ص 46

(3) ابن عذارى : البيان ، جـ 7 ص 48

ويؤكد ذلك وصف إبن عذاري لهم بقوله : « وكانت عندهم أعظم محنة ، كلهم يعزي عنها نفسه ويكفكف عبرته ... وأهتبل بنو مروان وشيعتهم بالبلد ، غرة العامريين فيما ارتكبوه من ذلك فدبت عقاربهم الى الناس ، وقاموا في قلب الدولة العامرية بجد وبصيرة ، فلم يخذلهم الناس وظفروا بالبقية » (1) .

وكان هذا فيما يبدو ، هو السبب المباشر والرئيسي الذي مهد للفتنة التي انتهت بسقوط الدولة العامرية ، وبالتالي قدمت لاضمحلال الخلافة الأموية في الأندلس وانحلالها (2) .

قام الأمويون تتبعهم العامة من أهل قرطبة ، بثورة على الخليفة هشام المؤيد ، وحاجبه عبد الرحمن بن المنصور ، أثناء غياب هذا الأخير للجهاد في الثغور الشمالية ، فخلعوه عن العرش وولوا مكانه ، رجلا منهم أحد أحفاد عبد الرحمن الناصر لدين الله ، هو محمد بن هشام بن عبد الجبار ، ولقبوه بالمهدي في جمادى الأخير ، سنة 399 هـ / 1009 م (3) .

ولما انتهى خبر الثورة الى عبد الرحمن بن المنصور ، عاد لتوه من الشمال يطوي المراحل الى قرطبة ، رغم نصيحة خواصه بعدم العودة ، لكنه أصر على المسير إليها ، فكان كلما اقترب منها ، انفض من حوله جماعته من الصقالبة العامريين والبربر المغاربة ، لمّا رأوا فيه سوء السلوك وقبح الأفعال ، فكان أول من أنصرف عنه من القواد المغاربة ، محمد بن يعلى وابن عمه بكاس بن سعيد الناس وأبوزيد بن درناس اليفرني ، في جموع زناتة وزيرى بن عرابة المطماطي ، وحباسة بن ماكسن بن زيري مع من كان معه من صنهاجة ، وتوالى بعد ذلك رؤساء القبائل المغربية في الانسحاب من صفوفه ، ولحقوا بالخليفة الجديد محمد بن هشام المهدي بقرطبة ، حتى صار عبد الرحمن في قلة من اصحابه ، وعندما شارف على منزل ارملاط الأدنى من قرطبة ، أرسل إليه المهدي من قتله واحتز رأسه وحمله إليه ، وانتهت بذلك الدولة العامرية ، التي دامت ما يزيد عن ثلاثين سنة وذلك في سنة 399 هـ/1009 م (4) .

ابن عذارى : المرجع السابق ، جـ 7 ص 43 ـ 47

(2) نفس المصدر ، جـ 3 ص 42.

(3) ابن الخطيب : اعمال الاعمال ، القسم الثاني ص 127

(4) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 73/51/50

obeikandl.com

الحرب الأهلية :

لكن محمد بن هشام المهدي لم يحسن مقابلة المغاربة ، الذين تحولوا عن نصرة عبد الرحمن بن المنصور ، ولحقوا به ، فأهانهم وأهان بعض رؤسائهم ، واعتمد في تسيير شؤون دولته ، وتثبيت حكمه ، على العساكر الذين جندهم من عامة القوم ، الذين لم يتوانوا عن الانضمام اليه ، والانثيال عليه ، بعد نجاح ثورته لمساعدته ومساندته ، فقد جاءوا من الأسواق والأرباض الغربية ، فكان منهم الجزارون والعنازون والسفلة وسائر غوغاء الناس ، ممن تنقصهم التجربة بفنون الحرب ، والجهل بعواقبها ، تدفعهم أحقادهم الشديدة على العناصر البربرية المغربية ، ومآربها الشخصية في النهب والسلب والاغتنام ، حتى لم يبق منهم على حد قول ابن عذارى في المدينة « حجام ولا كناف ولاذو مهنة ذلية » (1) .

فقدقربهم الخليفة المهدي اليه ، واستعان بهم وآثرهم على غيرهم من الجند الصقالبة والمغاربة ، ثم خرج بهم إلى مدينة الزاهرة العامرية ، فكسروا سجنها ، وأخرجوا منه اللصوص والأشرار وأصحاب الجرائم ، فنهبوا المدينة وما كان بها من الأموال والأسلحة والخزائن ، والأمتعة والآلات السلطانية واقتلعوا أبوابها ووثائقها وخشبها ، وغير ذلك مما حوته القصور وباعوه في الأسواق (2) .

ثم امتدت يدهم إلى منازل المغاربة بالرصافة ، فنهبوها ودخلوا دور بني ماكسن وبني زاوي وأهانوهم ، ولعل ذلك كان بتشجيع من محمد بن هشام المهدي ، الذي أظهر بغضه الشديد لهم ، فكثيرا ما كان يتكلم عنهم بسوء الثناء ويتوعدهم ، وأجزل المكافأة لكل من أتى برأس مغربي ، فتسارع أهل قرطبة واجتهدوا في قتل من استطاعوا قتله ، فدخلوا على « سنار البرزالي » الذي كانت له آثار حسنة في الجهاد ، فذبحوه على فراشه ، وقتلوا نحو سبعة عشر تلمسانيا قدموا من الجزائر للجهاد في سبيل الله ، وهتكوا الحرمات وسبوا النساء وباعوهن في دار البنات (3) .

---

(1) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 61 ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 127 .
(2) ابن عذارى : البيان ، جـ 7 ص 61
(3) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 61

وقد بلغ الأندلسيون في تصيد أهل المغرب ، والبحث عنهم حتى قتلوا خطأ كثيرا من الخراسانيين والشاميين ظنوهم برابرة . كما أخذوا يقتلون غيلة كل مغربي وجدوه في خلوة أو منفردا . ولعل هذا هو السبب الذي جعلهم يتكتلون ويتجمعون حتى لا يفتك بهم أهل قرطبة ، ويؤيد ذلك قول ابن عذارى : « وكان البربر إذا دخلوا أسواق قرطبة تخوفوا من العامة ، فإن صهل فرس على فرس قامت نفرة ، لتعصب العامة عليهم وبغضهم فيهم ، وهم مع ذلك صابرون ينهون سفهاءهم وعبيدهم أن يمد أحد منهم يده إلى أندلسي » (1) .

ورغم ما حدث للمغاربة من تعسف ، وتقتيل وإهانات من قبل العامة ، فقد تروي الكثير من شيوخهم وآثروا الاتصال المباشر بالخليفة المهدي ، لاستطلاع رأيه فيما حدث ويحدث قبل أن يقدموا على أي شيء ، يؤدي إلى العنف ، فتوجه زاوي وحبوس وحباسة أبناء ماكسن ، وغيرهم من زعماء القبائل المغربية ، ودخلوا على المهدي يشتكون ما أصاب قومهم ، فتظاهر لهم بالاعتذار وامر بقتل بعض المعتدين ، ثم فيما يبدوا كلّف أحد وزرائه ، وهو البكري بأن يعلن للناس في قرطبة وأرباضها ، أن أمير المؤمنين المهدي قد عفا عن جميع المغاربة شريطة أن يعودوا إلى بلادهم ، ويشتغلوا بفلاحة الأرض وخدمتها كما كانوا (2) .

والظاهر أن البربر لم يستجيبوا لهذا النداء ، ولم يقبلوا هذا الشرط ولم يطمئنوا لهذا العفو الشامل ، فلم يخرجوا من بيوتهم خوفا من العامة المتربصين لهم في كل الطرق ، واضطروا إلى البقاء متسترين عند أصحابهم من أهل المدينة ، (3) ولذلك اضطروا أخيرا ، إلى اتخاذ موقف معين لوضع حد لهذه الاضطهادات من ناحية وللتسابق الذي بدأ يحتدم ، بين الطامعين في الخلافة من بني أمية ، فالتفوا أول الأمر حول هشام بن سليمان الأموي الملقب بالرشيد ، وقاموا بثورة على المهدي إلا أنه لم يكتب لها النجاح ، اذ استطاع المهدي وجموعه أن يخمدوها ويقضوا عليها في المهد ، وقبضوا على الرشيد وقتلوه صبرا (4) .

---

(1) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 3 ص 92

(2) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 82

(3) نفس المصدر جـ 3 ص 88

(4) نفس المصدر جـ 3 ص 83/82

لم يستسلم المغاربة لهذه الهزيمة ، بل زادتهم قوة وعزيمة واصراراً على المقاومة والإطاحة بعرش المهدي ، فقد بايعوا سليمان بن الحكم بالخلافة وجمعوا له الأموال ولقبوه بالمستعين بالله في عقب شوال ، سنة 399 هـ / 1009 م ، وساروا معه نحو قلعة رباح ، حيث انضم اليهم أهلها ، عند ذلك أدرك المهدي خطأ سياسته وحرج موقفه ، فحاول أن يرأب الصدع وأن ينقذ ما يمكن إنقاذه ، بعد انضمام عروة اتحاد المسلمين في الأندلس ، فأرسل إليهم التاجر الجزائري عباس البرزالي « رسولا يؤمنهم على أنفسهم ، ويدعوهم للعودة إلى قرطبة » (1) .

لكن هذه المبادرة لم تأت أكلتها ، إذ لم يصغ المغاربة لسفير المهدي وقالوا له : « لولا أنك رسول وتاجر لقتلناك ... فليس لرجوعنا من سبيل لأنه إن أمنتنا لم تؤمنا رعيته وإن أمنتنا عامته لم تؤمنا جنده » . وتدل هذه العبارة على معاني الحقد والشر الذي كان الأندلسيون يضمرونه للمغاربة من جهة ، وحالة الفوضى والاضطراب واللا أمن الذي عاشته مدينة قرطبة وضواحيها ، في هذه الفترة من جهة أخرى (2) .

وهكذا انقسم الجيش الأندلسي في قرطبة على نفسه ، إلى قسمين رئيسيين متعادين ، المغاربة من ناحية ، والأندلسيين من أهل العاصمة من ناحية أخرى ، وتفاقم الوضع بين الحيين الأندلسي والمغربي منذ تولية محمد بن هشام المهدي الخلافة في قرطبة ، وكبرت هوة الشقاق بينهما ، لدرجة أنه صار من الصعب تضييق الخلاف بينهما .

ومنذ ذلك الحين بدأت نار الفتنة تتوقد ، وتتوهج بين الطرفين المتحاربين ، ولا شك في تقديري أن المسؤول الأول ، عن اشعال هذه الفتنة ، التي أطلق عليها الأندلسيون « بالفتنة البربرية » ، هو محمد بن هشام المهدي وأتباعه ، وكان الأولى والأصح بهؤلاء الأندلسيين ، أن يطلقوا عليها فتنة « محمد ابن هشام المهدي » لأنه هو باعثها وموقد نارها ، وشاهر سيفها في الأندلس (3) .

وتناسى المهدي وأنصاره ، الدور البالغ الأهمية ، الذي لعبه المغاربة في ترسيخ اقدام الإسلام والمسلمين في شبه جزيرة الأندلس . فقد ربطوا مصيرهم بمصير أبناء

---

(1) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 82

(2) نفس المصدر ، جـ 3 ص 84/82

(3) ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ 2 ص 5 ـ ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 76

هذا البلد ، منذ بداية الفتح ، وباتوا يعبرون اليه من وقت إلى آخر ، أفرادا وجماعات بمحض إرادتهم ، وتلبية لنداء الجهاد المقدس ، الذي ترسب في نفوسهم وصار جزءا من كيانهم (1) .

ولعل المقري التلمساني قد أصاب التقدير ، عندما عبر عن محمد بن هشام المهدي بقوله : « ولقد كان قيامه مشؤوما على الدين والدنيا ، فإنه فاتح أبواب الفتنة في الأندلس ، وماحي معالمها ، حتى تفرقت الدولة ، وانتشر السلك وكثر الرؤساء وتطاول العدو إليها ، وأخذها شيئا فشيئا ، حتى محا اسم الإسلام منها » (2) .

أما سليمان المستعين بالله وجيشه المغربي ، فقد استعانوا بالملك القشتالي شانجة بن غارسية Sanchogarcia بن فردلند المعروف في المصادر العربية باسم « ابن مامة دونة » على أعدائهم في قرطبة ، فلم يتأخر الملك النصراني عن ذلك ، لأنه وجدها فرصة سانحة للانتقام من المسلمين (3) .

تحرك سليمان بقواته ، تعززه قوات حلفائه النصارى ، القشتاليين ، نحو العاصمة الأندلسية ، واكتسح في طريقه ، الفتى واضح صاحب طليطلة قاعدة الثغر الأدنى ، وهو أحد أعوان المهدي ومؤيديه .

وعندما وصل إلى مكان يعرف بقنطش أو قنتيش (4) التقى به المهدي ودارت بينهما معركة شديدة ، انهزم هشام المهدي خلالها ، وقتل الكثير من جيشه ، كما راح ضحيتها عدد كبير من الفقهاء ، وأئمة المساجد ، والمؤذنين والمؤدبين ، ومن خيار أهل قرطبة وأخلاط من الناس ، وقد لاحظ ذلك ابن حيان بقوله : « من كل طبقة أخذت وقعة قنتيش ، حتى من أهل الباطل » (5) .

---

(1) د . أحمد مختار العبادي : صور لحياة الحرب والجهاد في المغرب والأندلس ، ص 84 مقال بمجلة البينة عدد (9) السنة الأولى يناير الرباط 1963 .

(2) المقري : نفح الطيب ، جـ 2 ص 112

(3) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 82 ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام القسم الثاني ص 132/131 .

(4) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 89/88 ـ ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ 2 ص 6 ـ ابن بسام : الذخيرة ، قسم أول م (1) ص 30 ـ وهو موضع في شمال شرقي القليعة Cualmelato غير بعيد عن ملتقى وادي ارملاط Al Coléa بالوادي الكبير . راجع الحلة السيراء ، جـ 2 ص 6 حاشية (2) .

(5) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول المجلد الأول ، ص 30 / 31 .

فرّ واضح على اثر هذه الهزيمة ، عائدا إلى ثغره ، بينما حاول محمد بن هشام المهدي ، استمالة المغاربة البربر . فأظهر لهم هشام المؤيد بالله وأقعده حيث يراه الناس ، لأنهم كانوا يكثرون من الترحم عليه والمطالبة بدمه (1) ، ووجه اليهم القاضي ابن ذكوان ، غير أن المغاربة تمسكوا بخليفتهم وإمامهم المستعين بالله ، وسخروا من القاضي وقالوا له : « سبحان الله يا قاضي ، يموت هشام بالأمس وتصلي عليه أنت وغيرك ، واليوم يعيش وترجع الخلافة اليه ، وجعلوا يتضاحكون منه » (2) .

عندئذ تحايل المهدي على الفرار ، ولحق بصاحبه الفتى واضح بطليطلة ، في جمادي الأولى ، سنة 400 هـ / 1010 م ، وهكذا انتصر المستعين بالله والمغاربة على الأندلسيين من أهل قرطبة ، تؤازرهم فرقة من النصارى القشتاليين بقيادة الملك غارسية بن فردلند .

لكن سليمان المستعين لم يستمتع بكرسي الخلافة في قرطبة طويلا ، لأن سلطانه فيما يبدو لم يتعد قرطبة وبعض الأقاليم في الأندلس ، أما الثغور الشمالية من طرطوشة شرقا إلى لشبونة غربا فقد ظلت على طاعة محمد بن هشام المهدي (3) ، ولأن المهدي لم يتورع في اتباع نفس السبيل ، الذي اتبعه المستعين من قبل ، وهو الاستعانة بالنصارى ، فاستجاش بحاكم برشلونة ريموند بوريل الثالث وأخيه أرمنجول (أرمقند) Armongol de Urgel Raimond Bonell ، اللذين فرضا شروطا قاسية على المهدي وهي : تسليمهم مدينة « سالم » قاعدة الثغر الأوسط ، والالتزام بدفع دينارين في اليوم ، لكل جندي نصراني ، ومائة دينار للقومس (الملك) ، وتوفير لهم ما يلزمهم من طعام وشراب ، وأن يكون لهم ما يغتنموه من عسكر المغاربة ، وأن نساءهم ودماءهم وأموالهم حلال لهم لا يحول أحد بينهم ، فالتزم المهدي وصاحبه واضح لهم بذلك (4) .

---

(1) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول المجلد الأول ص 31

(2) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 89

(3) ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ 2 ص 7 ـ عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 90 .

(4) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 94

ولما وصلوا إلى مكان يعرف بدار البقر El Vacar (1) . التقى الجيشان ودارت بين المستعين والمهدي حرب مريرة ، أبلى فيها الجنود المغاربة بلاء حسنا ، في قتال الفرنجة وأصحاب المهدي ، وكبدوهم خسائر جسيمة في الأرواح ، حيث قتلوا الملك الفرنجي أرمقند Armengol وعددا كبيرا من جنوده (2) . إلا أن سليمان المستعين ، لم يصمد في هذه المعركة ففر بمن معه ، ناجيا بنفسه إلى شاطبة .

وعندما رأى الجند المغاربة ذلك من إمامهم ، انحازوا إلى مدينة الزهراء ، وأخذوا عيالهم وأولادهم ومتاعهم ، ثم انصرفوا نحو الجنوب الأندلسي ، وبالذات إلى الجزيرة الخضراء في شهر شوال ، سنة 400 هـ / 1010 م (3) . والظاهر أن الأسباب التي جعلت المغاربة ، يختارون هذه المنطقة ، هي كون موقعها الجغرافي قريبا من وطنهم الأصلي ببلاد المغرب ، ولا يفصلها عنه إلا ذلك المضيق الضيق ، وربما لأنهم كانوا ينوون العبور اليه ، إذا ما ساءت ظروفهم على أرض الأندلس ، من جرَّاء مضايقة الأندلسيين لهم ، ومطاردتهم من جهة ، أو ليتمكنوا من تلقي الإمدادات والإعانات العسكرية السريعة ، وغيرها من إخوانهم أهل العدوة ، للاستعانة بها ضد المهدي وأنصاره الأندلسيين من جهة أخرى .

اغتنم العامة فرصة خروج الجيش المغربي من مدينة الزهراء ، فدخلوها ونهبوا كل ما فيها من متاع البربر ، وقتلوا من وجدوه بها ، كما دخلوا مسجدها فأخذوا حصره وقناديله ومصاحفه ، وصحائف أبوابه (4) وأمروا بقتل كل من تشبه بالبربر ، وكل عدوى حتى من لم يكن قد رأى العدوة أوسمع بها ، راح ضحية سيوف العامة ، وأكثروا من قتل الناس ، لدرجة أنه من كانت بينه وبين آخر عداوة قال هذا بربري ، فيقتل في الحال ولا يسأل عنه ، ولم يتورعوا في قتل أطفال البربر وشق بطون النساء

---

(1) تعرف هذه المنطقة بدار البقر أو عقبة البقر ، وتسمّى حاليا : Al Vacar وهو حصن يقع شمال قرطبة ، ويبعد عنها بنحو 20 كلم . أنظر : ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ 2 ص 7 ، حاشية رقم (1) .

(2) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 133 ـ ابن عذارى : المصدر السابق جـ 3 ص 95 .

(3) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 95 ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 134 ـ المقري : نفح الطيب ، جـ 1 ص 404

(4) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 3 ص 95

الحوامل ، وكذلك حذا حذوهم الفرنجة فسبوا كثيرا من القرطبيات الجميلات وادّعوا أنهن بربريات (1) .

أقسم محمد بن هشام المهدي بالإيمان المغلظة ، ألا يغمد سيفه ، وألا يرفع حالة الحرب ، إلا إذا انتهى من قضية المغاربة نهائيا ، فطلب الأموال من أهل حاضرته ، لسداد أجور المرتزقة الفرنجة ، ولتغطية نفقة الحرب ، ثم تقدم إلى الجزيرة الخضراء ، بكل من قدر على حمل السلاح من القرطبيين ، وجميع جيوش الثغور والنصارى الفرنجة ، فالتحم جيشه الكبير هذا مع المغاربة بوادي « آره » ، في ذي القعدة سنة 400 هـ 1010 م (2) ، واقتتلوا قتالا شديدا ، لاقى خلالها جيش المهدي والنصارى العناء الكبير ، من ضربات المغاربة الذين كانوا يقاتلون قتال المستميت لإعادة كرامتهم ، وكانت هذه الوقعة بالنسبة لهم ـ فيما يبدو ـ هي الفرصة الأخيرة ، للدفاع عن كيانهم ووجودهم في هذا البلد ، لهذا فقد صمدوا في المعركة صمود الأبطال ، ودافعوا عن أنفسهم بكل ما أوتوا من قوة ووجهوا للمهدي وحلفائه الفرنجة ضربة قاصمة ، أعطوا خلالها درسا قاسيا لأعدائهم في القتال ، والبطولة حتى تمكنوا من هزيمتهم ، وقتلوا من الفرنجة نحو ثلاثة آلاف قتيل ، من بينهم وزير الملك الفرنجي ، وغرق منهم في الواد اعداد كثيرة ، واحتوي المغاربة على ما في عسكر المهدي ، وحلفائه من سلاح ومال ودواب (3) .

ومن الطريف فقد وصف لنا صاحب كتاب مفاخر البربر بعض ضربات المغاربة في هذه المعركة كما ذكر أسماء أصحابها ، والتي أصبحت مضرب الأمثال بين الناس في ذلك العصر ، لدرجة أن المغاربة اتخذوها مادة للدعاية لأنفسهم ، وللتفاخر بها

---

(1) نفس المصدر ، جـ 3 ص 97

(2) وادي آره Guadiaro يكُرّ بجنوب رندة ، ومتفرع من وادي اللبن Guadalevi ويصب في البحر الأبيض المتوسط شمالي جبل طارق انظر : ابن عذارى ، جـ 3 ص 96 ـ عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 90 ـ راجع مقال د . أحمد مختار العبادي : صور لحياة الحرب والجهاد في المغرب والأندلس ، ص 90 بمجلة البينة السنة الأولى العدد (9) الرباط يناير 1963 م ـ ويسميه ابن الخطيب وادي بارو أو وادي السقائين بأحواز مربلة أنظر : أعمال الاعلام ، القسم الثالث ص 134 وتعليق السيد عبد العزيز سالم تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص 354 حاشية رقم (3) وابن خلدون العبر ، جـ 7 ص 46 يطلق عليه وادي « أيره » .

(3) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص 135

obeikandi.com

على أعدائهم ، وفي ذلك يقول : « وكان من عجائب الضراب ، يوم « آره » المتحدث عنه في الآفاق ، إلى اليوم ثلاث ضربات ، ما سمع بمثلها في الدهر ، مضاء سيوف وقوة سواعد ، منها ضربة أبي روليث ، لبيضة التي حملت إلى مدينة برشلونة ، والتي وضعتها الأفرنجة في الكنيسة هناك ، اعتبارا ومعذرة ، وضربة حباسة بن ماكسن الصنهاجي فارسا آخر منهم ، بدرع حصينة ثقيلة فهتكت الزرد وقدته ، وقدت جنب لابسه فجدلته ، وضربة بهلول بن تمايت الدمري يخطم فرس علج منهم ففصلت حديدتي اللجام ، ولحيتي الفرس جميعا ، ورمت بخطمة وما تكنفه من الحديد ، وخر الفرس لفيه ، فصارت هذه الضربات اعجوبة عند الناس » (1)

ولا يستبعد أن يكون هذا الانتصار السابق ، مدعوما بمساعدات قبائل العدوة المغربية ، التي ربما تكون قد هبت لنجدة إخوانهم دونما تحفظ ، مما أدى بأصحاب المستعين ، إلى اشتداد سواعدهم وتقوية نفوسهم على القتال من جديد .

والظاهر أن المستعين بالله ، أدرك تمام الإدراك أهمية بلاد المغرب في هذه الآونة من الناحية الاستراتيجية والبشرية ، وهنا يظهر اهتمامه بالمغرب ويتجلى ذلك بوضوح عندما قام على اثر معركة « وادي آره » ، بارسال قائده علي بن حمود الإدريسي العلوي المغربي ، إلى الشمال الافريقي ، ليضبط قاعدة الأمويين الرئيسية هناك وهي مدينة « سبتة » ، فعبر إليها علي بن حمود بقواته ، واستطاع أن يستولي عليها باسم إمام المغاربة وخليفتهم في الأندلس « سليمان المستعين بالله » ، وقطع الدعوة للمهدي وأقامها للمستعين ، وأصبح بالتالي يتحكم في مضيق جبل طارق ، يحمي ظهر صاحبه من الجنوب بإمداده بما يحتاجه من المقاتلين المغاربة ، ويؤكد ذلك قول المؤرخ ابن عذارى : « وفي تاريخ هذه الهزيمة بوادي آره على ابن عبد الجبار (المهدي) والنصارى ، كان جواز علي بن حمود إلى سبتة ، وانتزى فيها باسم سليمان ، وقال لهم : إنه علي ابن عبد الجبار ، وأن أمير المؤمنين هو سليمان فلك سبتة »(2) .

وبعد أن استوثق الأمر لسليمان المستعين في بلاد الأندلس أعاد علي بن حمود إلى جانبه ، ليقود فرقته البربرية المغربية كعادته (3)

---

(1) راجع مقال : د . أحمد مختار العبادي : صور لحياة الحرب والجهاد في المغرب والأندلس ، ص 90 وما يليها

(2) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 96 أنظر أيضا : ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 149 .

(3) ابن الخطيب : المصدر السابق ، القسم الثاني ص 149 .

كما تطلع بنو خزرون أصحاب مدينة طرابلس الغرب ، في إقامة علاقات طيبة مع حكومةقرطبة ، إلا أن هذه المبادرة لم تأت في أوانها ، إذ كانت الدولة الأموية في هذه الفترة ، بدأت تلفظ أنفاسها ، فهناك بعض المؤرخين ذكروا ، أن فلفولا بن سعيد بن خزرون الزناتي ، الذي استولى على مدينة طرابلس سنة 391 هـ / 1001 م ، بادر بمراسلة محمد بن هشام المهدي صاحب قرطبة ، وأوفد إليه وفدا يحكم الصلة بينهما في شوال ، سنة 400هـ / 1010 م ، راغبا في طاعته ، موعدا اياه بالدعاء له على منابر أعماله ، وضرب السكة باسمه ، وطلب منه الإمدادات العاجلة ، للتغلب على الحصار الذي ضربه عليه ، نصير الدولة باديس بن المنصور الصنهاجي ، صاحب افريقية ، بعد أن يئس فلفول من استغاثه الخليفة الفاطمي الحاكم من مصر (1) .

تلقى محمد بن هشام المهدي ، الوفد وخلع على أعضائه الخلع الكثيرة ، وبعث لفلفول بهدية نفيسة مع بعض رجاله ،غير أنهم لمّا وصلوا إلى مدينة طرابلس ، وجدوا فلفولا قد مات ، واقتحم باديس بن المنصور الصنهاجي ، صاحب افريقية أسوارها ، وأمر بالقبض على الأندلسيين من رجال المهدي وضرب أعناقهم جميعا (2) .

فلم يكتب لهذه العلاقة الطيبة أن تستمر ، لأن وضع المهدي في قرطبة لا يسمح له بإرسال النجدات العسكرية والمادية ، لهؤلاء الزناتيين بطرابلس ، بسبب تدهور موقفه من جراء الحصار المحكم ، الذي ضربه عليه المستعين وأصحابه المغاربة .

انقسمت إذن بلاد الأندلس ، وشمال المغرب الأقصى ، إلى مناطق نفوذ بين الخليفتين المتنازعين . الخليفة سليمان المستعين بالله وأنصاره المغاربة . استطاع أن يمد نفوذه على الجنوب الشرقي الأندلسي ، وشمالي العدوة المغربية ، أو بالأحرى على مدينتي سبتة وطنجة وبلاد غمارة ، وأما الخليفة محمد بن هشام المهدي فقد خضعت له ، مدينة قرطبة والثغور بشمال البلاد .

أما الشرق الأندلسي فقد استولى عليه جموع الصقالبة العامريين ، على إثر

---

(1) ابن خلدون : العبر ، جـ 7 ص 86

(2) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 78 ابن خلدون : العبر ، جـ 7 ص 86/85

obeikandi.com

قيام الفتنة في قرطبة ، حيث أقاموا لهم دولا في كل من بلنسبة وشاطبة ودانية والمرية والجزر الشرقية ، بعد أن ضعفت السلطة المركزية وزالت هيبة الخليفة (1) .

ولما تم للمستعين فتح قرطبة ، سنة 403 / 1013 ، واستتب له الأمر ، سارع بتوزيع العمال على الأقاليم التي تم له فتحها وإخضاعها لسلطانه ، سواء في الأراضي المغربية أو الأندلسية ، فعين ست قبائل مغربية على بعض الكور الأندلسية ، وبعض الأعمال في بلاد المغرب ، فأعطى صنهاجة كورة البيرة وولى مغراوة على جوفي البلاد ، وازداجة وبني دمر على كورتي شذونة ومورور وغيرهما من الحصون ، وبني برزال وبني يفرن على جيان وما ولاها غربا .

وعقد لمندر بن يحي التجيبي على سرقسطة ، مكافأة له على مساعدته في فتح قرطبة ، وأعاد القائد علي بن حمود الإدريسي إلى المغرب حيث ولاه مدينة سبتة ، وعين أخاه الأكبر منه سناء القاسم بن حمود على الجزيرة الخضراء ومدينتي طنجة وأصيلا ، وأصبحت بذلك دولة المستعين بالله ، دولة بربرية مغربية خالصة (2) .

وهكذا أصبحت ضفتي مضيق جبل طارق الشمالية والجنوبية ، في يد الأسرة الحمودية تتحكم فيه ، وكان علي وأخوه القاسم أبناء حمود بن ميمون ، من سلالة الأمير أبي حفص عمر بن إدريس الثاني ، الذي كان يحكم بلاد غمارة بشمال المغرب الأقصى ، وقد لاذ الحموديون كغيرهم من الأدارسة بالاختفاء في الأراضي المغربية بين القبائل البربرية ، خشية على أنفسهم من فتك عساكر بني أمية وحلفائهم ، واضطروا تحت هذا الخوف أن يتخلوا عن نسبهم الإدريسي العلوي ، بعد إخماد ثورة زعيمهم الحسن بن جنون ـ المشار اليها سابقا ـ فاندمجوا في الوسط البربري ، وتخلقوا بأخلاقهم وتطبعوا بطبائعهم البدوية ، حتى أصبحوا يتكلمون بلسانهم البربري الزناتي ، ويؤكد هذا الكلام ، قول ابن حيان القرطبي ، « فنكحوا اليهم وتبربروا » (3) .

---

(1) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 78 ـ ابن خلدون : العبر ، جـ 3 ص 115

(2) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 114 ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 139 ـ المقري : نفح الطيب ، جـ 1 ص 25 .

(3) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول المجلد الأول ص 78 ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 132 . حيث يذكر هذا المصدر الأخير بأن عليا لما قبض على سليمان وأخيه وأبيه فقتلهم وقال بلسانه الزناتي « لا يقتل الزلطان إلا الزلطان ومعناه السلطان » راجع أيضا : 327

L. Procençal: Histoire T. 2. p. 327.

وقد لحق علي والقاسم أبناء حمود بالأندلس ، مع جملة البربر المغاربة الذين اجتازوا اليها ، للخدمة في جيش الدولة العامرية (1) ، ولمّا حدثت الفتنة ونصب المغاربة إمامهم ، سليمان بن الحكم المستعين بالله ، اختص به علي والقاسم وتفانيا في خدمته ، إذ كانا يقودان فرقا مغربية ، أبلت بلاء حسنا في الحروب التي دارت ضد المهدي وأنصاره ، فطار لهما عندئذ ذكر في الشجاعة والإقدام ، فقربهما اليه ، ومنحهما الأعمال الواقعة على ضفتي المضيق (2) .

ومن الغريب أن أحد أصحاب سليمان المستعين بالله ، وهو القائد الجزائري عبد الله البرزالي ، لم يكن مرتاحا لتعيين هذين العلويين على الأعمال المغربية ، وفطن لعواقب ذلك ، فنصح المستعين بالله بإبعادهما ، وحذرهُ من طموحهما ، وروت بعض المصادر بأنه أسْرَع اِليه ودخل عليه وقال له : « يا أمير المؤمنين ، بلغني أنك وليت بني حمود العلويين على المغرب ، فقال : نعم ، قال له : أليس العلويون طالبيين ؟ فقال : نعم ، فقال له : تأتي إلى الأحناش فتردهم ثعابين ، فقال له : قد نفذ الأمر بذلك » (3) .

استيلاء الحموديين على الخلافة بقرطبة :

ومن الغريب أيضا ، أن ما تنبأ به عبد الله البرزالي ، قد تحقق فعلا ، فقد أخذ علي بن حمود منذ توليه إمارة سبتة ، يعد العدة سرا للخروج على الخليفة سليمان المستعين بالله ، ويغلب على الظن أن فكرة احياء الدولة العلوية الجديدة ، في المغرب والأندلس قد سمت إلى نفسه ، وأصبح يتطلع اليها ، ولا سيما بعد أن ضعفت الخلافة في قرطبة ، وكثر طلابها من أفراد البيت الأموي (4) .

---

(1) ابن خلدون : العبر ، جـ 6 ص 456/455 ـ القلقشندي (أبو العباس أحمد) صبح الأعشى ، جـ 5 ص 159 القاهرة 1915 .

(2) الضبي : بغية الملتمس ، ص 22 ـ محمد علي السنوسي : الدرر السنية في أخبار السلالة الادريسية ، الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر ، سنة 1966/1386 م .

(3) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 114 ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 150 .

(4) ابن الأثير : الكامل ، جـ 5 ص 284

استبد علي بن حمود أول الأمر ، بمدينة سبتة سنة 404 هـ / 1013 م ، أي بعد سنة فقط من توليه أياها ، بحيث قتل قاضيها ، محمد بن عيسى وعميدها الفقيه ابن يربوع ، وكلاهما من أنصار المستعين بالله ، قد أرسلهما إلى سبتة ليستطلعا أمر علي ، ويكونا عينا عليه (1) .

ثم أنه خاطب أخاه القاسم بن علي بقرطبة ، فلحق بعمله بالجزيرة الخضراء واستولى عليها ، عند ذلك أعلن،علي بن حمود ثورته على الخليفة المستعين ، وبرر ذلك بأن الخليفة الشرعي السابق ، هشام المؤيد بالله صير اليه ولاية العهد ، وأوصاه بالخلافة من بعده ، عندما « اضطرب أمره وتبين له انعدام دولته » (2) .

وسواء صحت هذه الرواية أو لم تصح ، فإن الذي لا جدال فيه هو أن عليا اتخذها ذريعة لتحقيق أهدافه ، وحاول أن يحيط ثورته هذه بسياج من الشرعية ليستمد منه سلطانه ، ويكسب به الأنصار والمؤيدين .

وكتب علي بن حمود بذلك ، إلى خيران العامري صاحب المرية ، الذي كان يحقد على سليمان المستعين والمغاربة بقرطبة ، وبني زيري صنهاجة أصحاب البيرة ، الذين لا زالوا لم ينسوا نزعتهم الشيعية ، فاستجابوا له ، وشجعوه على العبور إلى مدينة مالقة ، فلم يتأخر علي بن حمود ، وعبر اليها بقواته واستولى عليها وقتل صاحبها ، سنة 405 هـ / 1014 م (3) . وهناك أظهر لحلفائه بأنه لا يريد إلا

ابن عذارى : البيان ، جـ جـ 3 ص 115 ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 141 .

(2) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول المجلد الأول ص 26 ـ ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 114 ـ ابن الأثير : الكامل ، جـ 5 ص 284 ، أما ابن الخطيب فيذكر أنه : « لما تنفس مخنق العامريين الموالي والصنائع الهاشميين وعادوا على سليمان بالحقود البربرية صرف بعضهم إلى علي بن حمود أمير سبتة من الحسنيين عهدا منسوبا إلى هشام المؤيد وبخطه زعموا العهد فيه بالأمر بعده إلى علي بن حمود » وتعهدوا له بالمؤازرة والتعضيد وشجعوه على القيام . أنظر : أعمال الاعلام القسم الثاني ص 141 راجع أيضا : تعليق د . عبد العزيز سالم : في تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 356 ، حاشية رقم (3) .

(3) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 116 ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 141 ـ بينما يذكر عبد الواحد المراكشي وإبن الأثير أن صاحب مالقة وهو عامر بن فتوح تنازل له على المدينة وأدخله اليها . أنظر : المعجب ص 91 الكامل في التاريخ جـ 5 ص 284 الضبي : بغية الملتمس ص 92 ، حققه وترجمه المستشرق الاسباني فرنسيسكو كوديرا Françiscus Codera مجريط 1884 م .
راجع أيضا : Luis Seco de Lucena: Los Hamudies de Malaga Y., Algeciras p. 11-21.

obeikandl.com

نصرة هشام المؤيد ، الذي استجار به ، فانحاش اليه الناس وكثر أتباعه ، فأتاه خيران العامري ، بجيشه الصقلبي ، وزاوي بن زيري وحبوس بن ماكسن واخوته ، وبنو عمه الصنهاجيون ، فعظم شأنه وقوى ساعده وبايعوهُ بالخلافة ، ثم ساروا معه نحو قرطبة ، وبالقرب منها خرج اليهم سليمان المستعين بجيشه المغربي ، والتقى الجمعان ونشب بينهما قتال شديد ، هلك فيه خلق كثير من أتباع سليمان المستعين ، الذي قِيدَ أسيرا إلى علي بن حمود ، ومعه أخوه وأبوه فقتلوا جميعا صبرا ودخل علي قرطبة دخول المنتصر في المحرم ، سنة 407 هـ / 1017 م (1) ، ودعا الناس إلى بيعته فبويع له وتسمى بأمير المؤمنين الناصر لدين الله ، بينما بقي أخوه القاسم بن حمود في الجزيرة الخضراء ، متأهبا لتقديم المساعدات والإمدادات اللآزمة عند الحاجة ، وسقطت بذلك الخلافة الأموية في الأندلس ، وانتقلت من البيت الأموي إلى البيت الحمودي العلوي الهاشمي (2) .

وكانت العادة قد جرت على أن الجيش الأندلسي ، هو الذي يعبر إلى المغرب ويتدخل في شؤونه ، ولا سيما منذ احتلال عبد الرحمن الناصر لمدينة سبتة سنة 319 هـ / 931 م ، بل كان خلفاء بني أمية هم الذين يقومون بتعيين ولاة المغرب ، باعتبارها أصبحت ولاية خاضعة لنفوذهم وسلطانهم ، أما في هذه الفترة فقد انعكست الأمور ، وتطورت بحيث أصبح الجيش المغربي هو الذي يتدخل في أمور الأندلس ويدير سياستها .

وقد بدأ علي خلافته موفقا مع الرعية ، إذ افتتح عهده بالعدل والإنصاف بين الناس ، وحرص على ان يجلس للمظالم ويقيم الحدود (3) بنفسه فاحبه أهل قرطبة لسلوكه هذا من جهة ، ولابتعاده عن الحزب المغربي من جهة ثانية ، فافتتنوا به

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، جـ 5 ص 287 ـ عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 91 ـ ابن عذارى البيان ، جـ 3 ص 116 ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام القسم الثاني ص 145 .

(2) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول المجلد الأول ، ص 28 .

(3) راجع ابن بسام : المصدر السابق ، القسم الأول المجلد الأول ص 79 ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 3 ص 123/122 .

وكان علي قد ترك ، على أعمال شمال العدوة المغربية ، إبنه يحي وولى إبنه إدريس مالقة ، وأقر أخاه القاسم بن حمود على اشبيلية والجزيرة الخضراء (1) .

غير أن هذه السياسة لم تدم طويلا ، فسرعان ما تخلى عنها الخليفة الحمودي العلوي ، وحوّل وجهه عن أهل قرطبة ، وانقلب عليهم ، وعزم على إخلاء المدينة من الأمويين ، حتى لا يعود اليهم السلطان ، وعاد إلى الحزب المغربي عندما ظهر المرتضى مطالبا بالخلافة لنفسه ، يسانده في ذلك خيران العامري صاحب المرية ، وبعض أمراء الثغور حينئذ انقلبت عليه النفوس ، وكرهه الناس ، فدبر له صقالبة المروانيين ، الذين كانوا من أقرب الناس اليه ، مؤامرة أودت بحياته ، حيث قاموا بقتله بالحمام في غرة ذي القعدة ، سنة 408 هـ / 1017 م (2) .

ثم تولى القاسم بن حمود الخلافة من بعده ، واستمر فيها نحو أربع سنوات ، إلى أن نازعه عليها ابن أخيه يحي بن علي ، الذي اتفق مع أخيه ، إدريس عامل مالقة ، على أن يتولى ثغر سبتة ، وغيرها من الأعمال التابعة له في بلاد المغرب ، ويتولى هو مالقة بالأندلس ، وكتب من مدينة سبتة إلى رؤساء الفرق المغربية بقرطبة والأندلس ، يقول لهم : « إن عمي أخذ ميراثي من أبي ، ثم أنه قدم في ولاياتكم ، التي أخذتموها بسيوفكم ، العبيد والسودان وأنا أطلب ميراثي ، وأوليكم مناصبكم وأجعل العبيد والسودان كما هم عند الناس » (3) .

وكان القاسم بن حمود ، قد استكثر من شراء العبيد والسودان ، وقربهم اليه ، وجعلهم أكثر جنده وخدمه . مما أثار عليه نفوس المغاربة ، فظاهروا ابن أخيه نكاية فيه .

فجمع عند ذلك يحي بن علي ، ما عنده من المراكب والجند ، واجتاز بهم

---

(1) المقري : نفح الطيب ، جـ2 ص 29 ـ د. صلاح خالص : اشبيلية في القرن الخامس الهجري ص 112 دار الثقافة بيروت 1965 .

(2) راجع ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 121 ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 151 . ابن الأثير : الكامل ، جـ 5 ص 286 ـ عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص 98 .

(3) المقري : نفح الطيب ، جـ 2 ص 31

المضيق إلى مالقة ، وهناك ساعده جيرانه بني حبوس وغيرهم ، واستطاع بمساعدتهم أن يطيح بعرش عمه في قرطبة ، ويستولي على زمام الأمور فيها (1) .

والجدير بالملاحظة هنا هو أن الحرب الأهلية ، والصراعات العنيفة التي تعرضت لها الأندلس ، خلال هذه الفترة سببت في عودة كثير من المغاربة ، إلى وطنهم الأصلي ، فقد روت بعض المصادر ، أن زاويا بن زيري الصنهاجي ـ كبش هذه الحروب ومحشها ـ جمع إخوانه بعد انتصاره على المرتضى الأموي ، وحلفائه العامريين ، وأصحاب الثغور ، سنة 409 هـ / 1018 م ، وأدّى لهم النصيحة بالخروج عن الأندلس ، لأن الحياة فيها أصبحت محفوفة بالمخاطر ، والرجوع إلى إخوانهم في افريقية ، ولا سيما بعد قيام دولة الحموديين واعتمادهم على رجال زناتة أعدائهم التقليديين ، وقد علل لقومه في اتخاذه هذا القرار بقوله لهم : « فالرأي الخروج عن أرضهم ، (أي الأندلس) واغتنام السلامة مع احراز الغنيمة والرجوع إلى الجملة التي انفصلنا عنها ، كانفين للعيال والذرية ، مباعدين لهم ، لما وراءنا من أهل جنسنا ، زناتة الأعداء في الحقيقة الذين ، لا يغفلون عنا ، وأن أغفلت الخليقة لا سيما وقد عرفنا ، قرحهم ونبشنا أحقادهم المدفونة ، فإن فرغوا لنا على قلة عددنا ، وظاهروا علينا الأندلس ، وقعنا منهم بين لحيي اسد فاصطلمونا ، ها انا قد اديت النصيحة وأنا راحل عن الأندلس » (2) .

ثم أستأذن ابن عمه صاحب افريقية يومئذ المعز بن باديس . فأذن له وحرص جميع بني عمه على رجوعه اليهم لكبرسنة ، فرحل زاري مستقلا سفنه بمن تبعه من أهله وأمواله من مرسى المنكب Almunecar سنة 410 هـ / 1019 م ، ولحق بأرض افريقية ، وطنه فاستقبله المعز بن باديس أحسن استقبال ، وأقره في كنفه (3) .

---

(1) راجع : ابن الأثير : الكامل ، جـ 5 ص 286 ـ عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 99 ، ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول المجلد الثاني ص 13 ، 14 .

(2) ابن بسام الذخيرة ، القسم الأول المجلد الأول ، ص 402 وما يليها ابن عذاري : البيان ، جـ3 ص 128 وما يليها .

(3) ابن عذاري : البيان ، جـ3 ص 189 ـ ابن بسام الذخيرة ، القسم الأول المجلد الأول ، ص 201 وما يليها .

obeikandl.com

وظلت الخلافة في قرطبة ، تتداولها الأسرة الحمودية يعتلي عرشها يحي بن علي تارة وعمه القاسم بن حمود تارة أخرى ، وأحيانا بني أمية إلى أن سقطت الدولة نهائيا سنة 422 هـ / 1031 م .

ورغم امتداد دعوة بني حماد ، ونفوذهم إلى عاصمة الأندلس إلا انه لم يستمر أكثر من ثماني سنوات انحصر بعدها في سنة 417 هـ / 1026 م ، إلى منطقة مالقة ، والجزيرة الخضراء ، أي الجزء الجنوبي للأندلس المقابل لممتلكاتهم في مدينة سبتة وطنجة ، وبلاد غمارة بالعدوة المغربية (1) .

لكن لم يلبث أن دب النزاع والشقاق بين الأسرة الحمودية ، وانقسموا على أنفسهم ، إذ استحوذ بعض أمرائهم على بعض المناطق ، واستقل بها وأعلن نفسه خليفة عليها ، وتلقب بالألقاب الخلافية (2) ، حتى انقطع ملكهم من الأندلس ، في منتصف القرن الخامس الهجري ، على يد بني زيري الصناهنة أصحاب غرناطة وبني عباد أصحاب اشبيلية ، فعادوا إلى المغرب ، وهناك أيضا استولى على أعمالهم ، أحد مواليهم وهو سكوت أو سقوط البرغواطي (3) .

أما بنو أمية ، فقد ازداد تسابقهم ، في طلب الخلافة وكثر خروجهم على بعض ، وقتل بعضهم بعضا ، من أجل الوصول إلى كرمي الخلافة ، ويكفي للدلالة على ذلك ، ما ذكره ابن عذارى ، من أن أحدهم ، قيل له لما ثار يطالب بالسلطة لنفسه « نخشى عليك أن تقتل فقال لهم : « بايعوني أنتم اليوم واقتلوني غدا » (4) . حرصا منه على طلب الخلافة ، واعتلاء دستها . وكان آخرهم أبو بكر هشام الثالث بن محمد المعتد

---

(1) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 99 ـ ابن الأثير : الكامل ، جـ 5 ص 286 ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 144 .

(2) وحول صراع الحموديين بين بعضهم بعضا من أجل السلطان في سبتة ومالقة واتخاذهم الألقاب السلطانية يقول الضبي« وصار الأمر في غاية الأخلوقة والفضيحة أربعة كلهم يتسمى بأمير المؤمنين في رقعة من الأرض مقدارها ثلاثون فرسخا » وفيها قال الشعراء :

فتفرقوا شعبا لكل جزيرة   فيها أمير المؤمنين ومنبر

أنظر بغية الملتمس ص 30 راجع عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ص 13 وما يليها ـ د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ص 79 .

(3) ابن خلدون : العبر ، جـ 6 ص 456 والضبي المرجع السابق ص 77 وما يليها .

(4) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 151 ـ أنظر أيضا : ابن الأثير : الكامل ، جـ 5 ص 290 .

obeikandl.com

بالله اخو المرتضى ، قد بويع له بسعي من الوزير أبي الحزم بن محمد جهور ، مع أهل الثغور حيث كان يوجد هشام بحصن « البونت » ، في ربيع الأول ، سنة 418 هـ / 1027 م . وبقي الخليفة ملازما الثغور الشمالية نحو ثلاث سنوات ثم عاد بعدها إلى قرطبة ، قصبة الملك في ذي الحجة ، سنة 420 هـ 1026 م ، ولم يقم بها يسيرا ، حتى قامت عليه فرقة من الجند ، وخلعته عن عرشه ، وأخرجته من القصر ، ثم « نودي في الأسواق والأرباض بأن لا يبقى أحد بقرطبة من بنيْ أمية ولا يكنفهم أحد » (1) .

فخرجوا من قرطبة وتفرقوا في الأقاليم ، ولحق هشام الثالث ومن معه إلى الثغور ، وانقطعت بذلك الدعوة لهم ، على منابر جميع أقاليم الأندلس ، وبلاد المغرب في ذي الحجة سنة 422 هـ / 1031 م (2) .

وأعلن الوزير أبو حزم جهور بن محمد بن جهور بعد ذلك ، انتهاء رسم الخلافة ، لعدم وجود من يستحقها من بني أمية ، وجعل الأمر شورى بين الوزراء وكبار أعيان القوم ، أو ما أطلق عليه بالجماعة ، وأسفر عن سقوط الخلافة الأموية ، قيام دويلات متنازعة ، اذ استقل كل أمير بإقليمه ، وأعلن نفسه ملكا عليه ، فدخلت البلاد في عصر جديد هو عصر الطوائف ، أو كما تسميه بعض المصادر الفرق (3) ، وفي ذلك يقول المقري : « انقطعت الدولة الأموية من الأرض ، وانتشر ملك الخلافة بالمغرب ، وقام الطوائف بعد انقراض الخلائف ، وانتزى الرؤساء من البربر ، والعرب ، والموالي بالجهات واقتسموا خطتها ، وتغلب بعض على بعض » (4) .

وجملة القول ، أن الصلة بين الأمويين في الأندلس ، والأمراء المغاربة في الشمال الافريقي في هذه الفترة قد انقطعت ، ولم يعد لها وجود ، إذا ما استثنينا عهدى محمد بن هشام المهدي ، وسليمان المستعين ، اللذين ظهرت بعض العلاقات في عهدهما ، مع بعض أمراء العدوة المغربية ، ولكنها كانت محدودة وعلى نطاق ضيق ، ــ كما

---

(1) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 3 ص 152 ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 162 ــ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ 5 ص 290 .

(2) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 110 ــ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ 5 ص 290 .

(3) أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ص 275 .

(4) المقري : نفح الطيب ، جـ 1 ص 413 .

سبق أن أشرت ـ لأن بني أمية ، قد انشغلوا بالفتنة التي تفرعت شعابها ، وامتدت روافدها في البلاد الأندلسية من جهة ، وتسابقهم على كرسي الخلافة من جهة أخرى ، فقد زجت بهم هذه الفوضى في مستنقع كبير ، أدَّى بدولتهم إلى الدخول في مرحلة من أسوأ مراحلها وهي مرحلة الضعف والانحلال ، وبسبب الحرب الأهلية التي نشبت بين الاخوة الفرقاء في قرطبة ، والصراع المرير الذي قام بين العناصر المختلفة ، في الدولة كالبربر ، وأهل قرطبة والصقالبة ، من أجل التسابق على السلطة الزمنية .

ويكفي للدلالة على انقسام الدولة ، واضطرابها في هذه الفترة الأخيرة من مراحلها ، أن عدد الخلفاء ، الذين تعاقبوا على عرش الخلافة ، يفوق عدد الذين تولوا عرش الامارة والخلافة ، ، منذ تأسيس الدولة الأموية في الأندلس (1) .

والظاهر أن النفوذ الأموي في الشمال الإفريقي ، قد سقط بسقوط الدولة العامرية ، وظهور الفتنة في الأندلس ، في مطلع القرن الخامس الهجري وضعف السلطة المركزية في قرطبة ، حتى أنها فقدت تأثيرها على الأقاليم والمدن الأندلسية ، فكيف إذن تستطيع أن تحافظ على نفوذها في البلاد المغربية ، وهي على هذه الحالة .

ومما لا شك فيه هو أن المغاربة ، قد استقلوا بأعمالهم ، وخلعوا طاعة الأموية ، وانقطع ما كان بينهما من رباط سياسي ، وهو التبعية والولاء ، ويؤيد هذا القول ، صاحب كتاب مفاخر البربر بقوله : « ولم تزل الولاية بالمغرب مستقيمة ، وطاعة أهله منتظمة ، إلى أن مات المظفر ، وولى أمر الحجابة عبد الرحمن بن أبي عامر ، وذلك في أول سنة 399 هـ / (1009 م.) » (2) .

وعلى الرغم من نجاح الحموديين ، في الاستيلاء على الخلافة في قرطبة ، من يد الأمويين إلا أن نفوذهم ـ فيما يبدوـ لم يتعد أبعد من المناطق ، التي تم لهم الاستيلاء عليها ، سواء في الأندلس أوبلاد المغرب ، ولم تتجاوزمدينة سبتة وطنجة وبلاد غمارة ، لأنهم لم يستطيعوا بسطه فيما وراء ذلك من الدواخل ، ربما لأنهم دخلوا ، في نزاع عقيم فيما بينهم على السلطة أدى بهم في النهاية إلى الانقسام (3) .

---

(1) عبد الحميد العبادي : المجمل ص 156 ـ أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ص 274 .

(2) مفاخر البربر ص 41

(3) أنظر : ابن خلدون : العبر ، جـ 6 ص 457/456/455 .

ومهما يكن من أمر ، فإن ما تجدر الإشارة اليه هنا ، هو أن الفتنةالتي تعرض لها المسلمون في الأندلس ، كان لها صدى بعيد المدى في بلاد المغرب ، وأثر كبير على حلفاء الدولة الأموية في تلك المنطقة ، وخاصة مغراوة الزناتية ، التي طالما حملت راية الأموية ، وتفانت في توسيع سلطانهم ، ونفوذهم في الأراضي المغربية ، حتى تمكنت من مده ما بين باقليم الزاب شرقا ، وسجلماسة والسوس الأقصى جنوبا ، تحت راية واحدة ، هي الراية الأموية المغراوية ، وأصبحت زناتة وعلى رأسها المعز بن زيري بن عطية المغراوي ، هي القوة الشرعية الحاكمة في المغرب .

ولما افترق أمر الجماعة ، واختل رسم الخلافة ، عزم الزعيم المغراوي المعز بن زيري أن يوسع أعماله ، فاستحدث رأيا في التغلب على سجلماسة وانتزاعها من أيدي بني عمومته ، وهم أبناء وانودين بن خزرون ، فنهض اليهم بجيشه سنة 407 هـ / 1017 م ، ولكنه انهزم أمام جيوشهم ، وعاد بفلوله هاربا إلى مقر أعماله « بفاس » .

ولعل هذا هو السبب ، في اضطراب أمره ، واهتزاز كيان امارته ، وتقلص أعماله ، فقد قامت إمارة بني يفرن ، في كل من سلا ، وتادلا منافسة له ، كما استفحل أمر أصحاب سجلماسة ، بعد انتصارهم عليه ، واستطاعوا الاستيلاء على بعض ممتلكاته (1)

ولم تلبث الدولة الزيرية الصنهاجية في افريقية ، أن انقسمت هي الأخرى على نفسها ، اذ انفصل حماد بن بلكين عن السلطة المركزية في المنصورية ، ببعض أعمال المغرب الأوسط ، وأسس له دولة ورثها آل حماد من بعده ، وجعل عاصمتها « قلعة بني حماد » بنواحي المسيلة (2) .

وهكذا تعرض المغرب بأسره ، إلى نفس المحنة السياسية ، التي تعرضت لها الأندلس ، ومر المغرب بالحالة ذاتها ، حيث أن كلا البلدين ، قد تفرق شملهما ، وتجزأت وحدتهما ، وأصبح المسلمون في هذين العدوتين شيعا وأحزابا ، متنافرين متحاربين ، وقد صور لنا المؤرخون ، مدى افتراق الكلمة في المغرب في فترة تدهور

(1) ابن خلدون : العبر ، جـ 7 ص 73

(2) ابن عذارى : البيان ، جـ 1 ص 264/263 ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ 6 ص 340 .

الخلافة الأندلسية وسقوطها ، أصدق تصوير ، ووصفوها أبلغ وصف ، وشبهوا وضعه بوضع الأندلس في تلك الفترة ، وقال أحدهم في ذلك : « انخرمت الامامة ، وتفرقت الجماعة ، وانهدمت الدولة المروانية ، وصار أمر الناس بجزيرة الأندلس شيعا ، ولما كانت الطاعة بالأندلس واحدة ، وامامتهم واحدة ، تشتت الناس بالمغرب ، كفعلتهم في الأندلس ، وانتزى بعضهم على بعض » (1) .

(1) مفاخر البربر ، ص 41 ـ 42 ـ ابن عذاري : البيان ، جـ 1 ص 254 .

obeikandl.com

الخاتمة

ونستخلص من هذا البحث ، أن العلاقة السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ، قد مرت بعدة مراحل مختلفة :

المرحلة الأولى : وهي عصر الولاة ، فقد كانت الصلة فيه قوية ، بين المغرب والأندلس ، اذ عبرت خلاله ، كثير من القبائل المغربية العربية ، ووضعت بذلك أسسا جديدة ، لوحدة سياسية واجتماعية وادارية ، مرتبطة ارتباطا وثيقا ببلاد المغرب ، وأصبحت قرطبة تتبع القيروان إداريا وسياسيا .

أما المرحلة الثانية ، وهي عصر الامارة الأموية ، فقد استقل الأمويون بالأندلس ، وصار لدولتهم كيان مستقل عن الخلافة العباسية ، غير أن الوضع السياسي الجديد للإمارة الأموية ، وعدائها لبني العباس ، جعلها لا تطمئن لبعض الدول المغربية القريبة منها ، وبخاصة الأغالبة ، الذين يمثلون النفوذ العباسي في بلاد المغرب ، والأدارسة الذين يمثلون البيت العلوي المعادي للأمويين وبذلك صارت السبل أمامها مسدودة ، مما تعذر عليها الاتصال ببلاد المغرب ، وتوطيد صلاتها بهاتين الدولتين في المغرب الأدنى والأقصى .

أما بالنسبة للدولة الرستمية الخارجية « بتاهرت » (المغرب الأوسط) فنلاحظ أنها كانت هي الأخرى ، على خلاف مذهبي ، وعداء سياسي مع جارتها الشرقية ، وهي دولة الأغالبة ، والمناهضة لحركات الخوارج . وكذلك مع جارتها الغربية ، وهي الدولة الإداريسية العلوية في « فاس » .

وقد جمعت هذه الظروف السياسية المتشابهة ، بين تاهرت وقرطبة ، رغم الاختلاف المذهبي بينهما ، فالتقى الطرفان في حلف ودي ، تدعمه المصلحة السياسية المشتركة ، ولا سيما بعد أن ظهرت القوى البحرية الأغلبية ، في وسط البحر الأبيض المتوسط وغربه ، تهدد الشواطيء الأندلسية ، وتضيق الخناق على الامامة التاهرتية .

ولم يلبث أن انضم إلى هذا الحلف ، كل من بني صالح أصحاب نكور وبني مدرار الصفريين أصحاب سجلماسة ، الذين لم يحل بينهم وبين التحالف مع قرطبة ، البعد الجغرافي والاختلاف الاديولوجي ، وكذلك انضم إلى هذا الحلف أيضا ،

البرغواطيون أصحاب تامسنا ، لتطويق الأدارسة من جميع الجهات ، وعزل الأغالبة في القــــيروان .

والشيء الجديد بملاحظته هو أنه ، على الرغم من استمرار الجو المشحون بالعداء السياسي ، والإختلاف العقائدي ، لفترة طويلة بين عواصم الغرب الإسلامي ، فإنه من حسن الطالع ، لم تتعد هذه الخصومات ، نطاق الاستفزازات الدبلوماسية ، والمناورات السياسية ، ولم تتحدث المصادر التاريخية عن وقوع اصطدامات عسكرية خطيرة ، فيما بين هذه العواصم ، إذا استثنينا تلك المناوشات ، التي حدثت بين الرستميين والأغـالبـة .

وأما المرحلة الثالثة ، فهي عهد الخلافة ، التي تغيرت فيها سياسة بني أمية ، وبخاصة بعد أن ظهرت قوة كبرى في بلاد المغرب ، مناوئة للبيت الأموي في الأندلس ، وهي الدولة الفاطمية الشيعية ، التي ترتب على قيامها زيادة التوتر السياسي والعسكري في المنطقة ، بحيث انتقل من مرحلة الصراع السلبي ، القائم على الحرب الباردة ، والتسابق في التسلح ، إلى الصراع الايجابي ، والمجابهة العسكرية ، والتدخل المباشر في الشؤون المغربية . فالخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله ، هو أول خليفة أندلسي عمل على اصطناع أمراء المغرب ، من أدارسة ورؤساء القبائل المغربية ، وتحريضهم على قتال الفواطم مستعملا في سبيل ترويج ذلك ، كافة الوسائل المادية المغرية .

وقد نجح الناصر في هذه السياسة نجاحا كبيرا ، إذ انحاشت إلى الدعوة الأموية ، وتشبثت بحبالها ، معظم القبائل المغربية الكبيرة ، وخاصة مكناسة النازلة بالمغرب الأقصى ، وزناتة الضاربة في المغرب الأوسط ، والمتاخمة للحدود الفاطمية وغيرهما من القبائل التي تفانت من أجل بسط النفوذ الأموي وحمايته .

وقد تجسد هذا النجاح في الوفود الكثيرة ، التي كانت ترد قرطبة في كل حين مزودة بالهدايا المغربية الجميلة ، رمزا للطاعة والولاء ، وتحمل الرسائل والتقارير المفصلة عن أحوال المغرب ، يشرحون فيها ، سياستهم وأعمالهم أولا بأول ، إزاء جيرانهم الفواطم وتلتمس الإمدادات والمساعدات الاقتصادية والعسكرية ، لمناوأة العبيديين ، ولا سيما في أوقات الأزمات والانقسامات التي كانت تحل بدولتهم . وكان الناصر لا يرفض لهم طلبا . ويرسل لهم المعونات والإمدادات العسكرية والاقتصادية على شكل اساطيل تحمل الجند والرماة ، وترسو ، في الموانيء المغربية ، أو على هيئة

أطباء ، ومهندسين وبنائين ، لبناء القلاع والحصون ، وترميم ما أفسدته الحروب ، أو في صورة أموال ، ومواد غذائية .. الخ . وبهذه المعونات والمجهودات المكثفة استطاعت خلافة قرطبة أن تضع حدا لنشاط الفواطم في المغرب ، وحصرت نفوذهم في افريقية .

وفي الوقت نفسه لم تتردد هذه القبائل المغربية ، في مساعدة الخلافة الأموية في عقر دارها ، فكانت تبعث بأبنائها وفلذات أكبادها إلى الأندلس ، للخدمة في جيوش وأساطيل الدولة الأموية ، فأضحت بذلك سندا قويا ، لهذه الخلافة الناشئة ، تصد عنها كل الأخطار الداهمة من افريقية .

كما أن الناصر لدين الله ، تجاوز نطاق الدعم المادي والعسكري لحلفائه المغاربة والأدارسة ، إلى احتلال بعض الثغور البحرية المغربية ، المواجهة للشواطيء الأندلسية ، وجعلها قواعد أموية تحمي ظهره ، وتخرج منها الأساطيل الأندلسية لحماية حلفائه وانصاره وتعزيز مركزهم وتكون بمثابة خط دفاعي أمامي ، في وجه النشاط السياسي والعسكري للدولة الفاطمية .

وقد حذا الخليفة الحكم المستنصر ، حذو أبيه في سياسته المغربية ، التي تقوم على ضرورة المحافظة ، على النفوذ الأموي في الشمال الافريقي ، ومصانعة أمراء المغرب ورؤساء قبائله ، والتدخل المسلح المباشر ، إذا اقتضى الأمر لذلك ، رغم انتقال مقر الدولة الفاطمية إلى مصر ، وابتعادها عن الأندلس .

كما اضطر الحكم المستنصر بالله إلى تغيير سياسة التستر وراء المغاربة في ضرب الفواطم ، وتدخل في بلاد المغرب تدخلا عسكريا مباشرا ، وتغلغل في أراضيه بأساطيله البحرية وجيوشه البرية ، لإخماد ثورة الأدارسة وإخضاعهم وقد استطاع الحكم أن يحبط كل المحاولات التي استهدفت تقويض النفوذ الأموي وسلطانهم من المغرب .

واستمر الحال على هذا المنوال ، في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر الذي بذل جهودا مضنية ، من أجل تطبيق سياسته المغربية الحازمة ، التي تكللت بالنجاح ، فقد تمكن هو الآخر من القضاء ، على الثورات الإدريسية والمغربية وكان هو رجل التوسع الأموي ، وأشدهم فاعلية في هذا المضمار ، ففي ظل حكمه بلغت الدولة الأموية في الغرب الإسلامي قمة مجدها ، واتساعها وامتدت الدعوة الأموية إلى مناطق جديدة

في المغرب ، بحيث أصبحت تنتشر من السوس الأقصى وسجلماسة جنوبا ، إلى إقليم الزاب ووادي شلف شرقا .

وظل النفوذ الأموي في الشمال الافريقي قائما ، إلى أن حدثت الفتنة الأندلسية في نهاية القرن الرابع الهجري ، وسقطت الدولة العامرية وذهبت هيبة الخلافة ، وضعفت السلطة المركزية في قرطبة ، عند ذلك فقد الأمويون تأثيرهم على الأقاليم والكور الأندلسية والديار المغربية ، ودخلوا مرحلة من اصعب مراحلهم وهي مرحلة الضعف والانحلال ، إذا تدخل الحموديون الأدارسة والمغاربة في الأندلس واستولوا على الخلافة فيها فاندثر بذلك السلطان الأموي من المغرب ثم زال نهائيا بزوال رسم الخلافة في قرطبة سنة 422 هـ / 1031 م .

الضمائم رقم (1)

كتاب محمد بن خزر أمير زناتة إلى الناصر لدين الله يتضمن بيعته وأحقيته بالخلافة

أرسل اليه في أواخر سنة 317 هـ / 929 م ، جاء فيها ما يلي :

« والله يا أمير المؤمنين ، ما أعلم على وجه الأرض أحدا ، أعرف بما أوجب الله لك مني ، لأني ما قمت بدعوتك ، إلا تقربا إلى الله تعالى ، وتوصلا إلى قتال كفار المشارقة ، فقد يعلم الله تعالى أني لم أتعرض المشارقة أهلكهم الله على يدك ما تعرضوني ، كما أني كففت زمانا عنهم ، قبل استحكام البصيرة فيك ، وكفوا عني ورضوا بذلك مني ، حتى رأيت أمرهم ، قد عم الناس من شره ، وقد حاولوا أن يسطلوا نور الإسلام ، بما كادوا به أهله ، فأسخرت الله في جهادهم وقمت أدعوا إلى ربي في جوف الليل في التوفيق والتسديد ، وأن يخيرني وللمسلمين في مناهضهم و لكشف عنا من غيهم وفكرت في امام اعتاق حله ، وأكون على بينة من أمري في الدعاء اليه ، وقد تشبث في حبال المسودة من بني العباس ، واستدعاني أخي المقيم عندهم بمصر ، وأتتني كتب « تكين » التركي صاحبهم بمصر في أول الأمر ، واستجلابي نحويه ، فعصمني الله من ذلك ، باتباع الحق ، وأخذ برأي الناصح المرشد ، وأخفاني إلى ما أوضح من الأمر حتى علمت بأمر أمير المؤمنين أنك أحق الناس بالخلافة إنها بيدك ميراث ، لا ينازعك فيها إلا من دفع الحق وعصى الله ورسوله ، فأطرحت الهوادة وآثرت الحق ، وهربت بنفسي إلى أمير المؤنين بنية صادقة ، وبصيرة نافذة ، وبريت من الناس منه ، ودفعت الامامة الا وهو ، ورجوت أن ينصرني الله تعالى ، وعلى يديه وأن ينصر في أمري وأمر المسلمين ، من أهل افريقية المضطهدين ، النظر المأمول ، حتى يكشف الله تعالى عنهم ، ما هم فيه من البلاد والردة ، وأن يصرف الله معشر زناتة بهذه الدعوة الحق المنصورة ، حتى يرفعنا على جميع الناس بها ، فنكون أولياء دعوتك ، وأنصار دولتك ، فإنك يا أمير المؤمنين ، مولى كل بربري على الأرض ، إذ بني أمية هداهم الله للإسلام وعساكرهم منى (إلى لدخلتهم) فيه وأخرجتهم من المحسوبية ، بإذن ربهم ، فمن كفر منهم هذه النعمة ، فهو كافر بالله ورسوله موها ثم

(1) ابن حيان : قطعة من كتاب « المقبس » خاصة بعهد عبد الرحمن الناصر لدين الله مخطوطة بمعهد المخطوطات جامعة الدول العربية بالقاهرة تحت رقم ، 298 .

لا يقبل الله له صرفا ولاعدلا ووالله ماحابيناك يا أمير المؤمنين بالاقرار لك ، إذ وجدنا الحق في يدك والاجماع من الناس ، على أنك أولى بالخلافة ، من ينتحل اسمها معك ، كذلك يتمسك كل من تقدم الينا من المشرق من نواحي إفريقية .

فكلهم يشكر فعلي بأن الحق معي ، وفيه أخذ رأي من نصحي ، وبالحق عرفني وعليه حظي ، حتى « تكين » صاحب مصر فقد رضيه وسره وما ساءه ، فالحمد لله على هذه النعمة ، الذي جعلني من أهلها ووفقني بقبولها » (1) .

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة رقم 107 ، 108

ضميمة رقم (2)

كتاب من الأمير الإدريسي إبراهيم بن محمد الحسني إلى العاهل الأندلسي الناصر لدين الله يعتذر فيه باسم إخوانه ، عن تصديهم ومقاومتهم للأسطول الأندلسي الذي قام باحتلال مدينة سبتة سنة 319 هـ / 931 م جاء فيها :

« وقد أنعم الله بك يا أمير المؤمنين ، في أن تصرف همتك إلى ناحيتنا ، ووكل عزمك بعروقنا ، فلقد كنا نتمنى ذلك ، ونستبكيه منك إلى أن تمم الله عزمك ويسرك بتوفيقه ، إلى فأرجو أن ترتقي فيه على يديك إلى أفضل الخطط ، وأشرف المنازل ، وذلك أن بلد البربر ، الذي نحن به أعز الله أمير المؤمنين سيدنا ، لقوم ملكوا أنفسهم من زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وجرت عادتهم على مجد السلاطين ، ودفع الأئمة والعدو بالولاية ، والتوثب على العمال والملك لأنفسهم ، والاستبداد لآرائهم إلى أن دخل إليهم جدنا ، إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي رضي الله عنه ، هاربا من عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، الملقب بالمنصور ، بعد أن قتل أخويه محمد وإبراهيم إبني عبد الله بن حسن بن حسن ، وشرد أهل بيتهم ، فلما سار جدنا إدريس اليهم واستجار بهم أجاروه وأوصبوا حقه ، ووضعوا له في بلدهم (فرحا) توسط ما بينهم من الأحكام من غير أن يضبطهم السلطان ومضى « بسلا » وقد تناسلنا منه وقمنا مقامه ، وسلكنا بسبيله ، فالبربر إلى اليوم على عادتهم الأولى معنا ، إن هممنابتشديد السلطان عليهم ، هربوا عنا ، وانفردو منا ، واتخذوا الحصون علينا ، فمرة نذهب إلى محاربتهم ، وتارة نبدل إلى مداراتهم ، ولا نطمع مع الأيام في ضبطهم ، وكف عاديتهم إلى أن كان وقته ، بدنو الأمر الذي شرع فيه سيدنا أمير المؤمنين ، بالرأي الذي هم به ، وعزم عليه من ملك عدوتنا ، ومر ظله علينا بلا شيء أشد (أنفسنا) ولا أجمع بالنار منه ، فإلى سيدنا نرفع رغباتنا ونرد طلباتنا في اتمام عزمك ، وتسديد فعلك وتثبيت بصيرتك فيما ألهمك الله اليه ، ووفقك الله له فنحن أعز الله أمير المؤمنين سيدنا ، مما لا رغب بأنفسنا عنك ولا نحب ، وعن سنتك فأمرنا بما لأحببت وناهين بتأمن أردت فنحن جند لك على أعدائك ، ومسارعون إلى ما يسرك ، فلا تشك في طاعتنا ، ولا ترتب بمحبتنا وولايتنا ، فبالله الرحمن الرحيم ، عالم الغيب والشهادة ، وكل يمين أوجبه الله في الكتاب ، مما لا كفارة له إلا بالوفاء به ، وكل ما تمتلك على المساكين صدقة ،

كل يحاشى في ذلك عقارا ، وكان باعا علينا عهود الله المؤكدة ، ومواثيقه المغلظة ، وعلينا المشيء كل واحد منا يواري حجة ، وكل مملوك فملكه حر ، لوجه الله العظيم ، وجميع ايماننا هذه على الطواعية معقودة على الواحد منا ، والجماعة لا أنقضنا لك بيعة ، ولا سعينا معك بغش وكيد ، ولا مكر ولا خديعة ولا حيلة ، ومعاذ الله ، ولكنا ذهبنا إلى تطييب نفسك ورهفة قلبك ، وإثلاج صدرك ، والذي اعترفنا به لك غير مستنكر علينا ، لأنا لم ندخل البلد ، عن افتتاح افتتحناه ، ولا عن ميراث طلبناه ، مع الذي تقدم من فعل جدنا الحسن بن علي رضي الله عنه ، في التسليم لسلفك ، وما مضت عليه جدودنا من البيعة ، لأجدادك رحمهم الله أجمعين .

وبعد أعز الله أمير المؤمنين ، فإنه قدم جندك علينا بسبتة ، بغتة لا نعلم معنى الأمر فيه ، وكل المذهب اليه ، فخف البربر الذين يلونها اليهم ، واستبقوا إلى محاربتهم ، فلما تكافأت الحرب بينهم ، واستنصرونا عليهم ، واستنهضونا للقيام معهم برجالنا ، وزعموا أنه إنما قدم إلى ما هنالك عامل الجزيرة الخضراء ، فيمن خف معه متطاولا ، إلى ذلك من ذاته ، دون اذنك ولا مذهبك ، فتوقفنا عنهم جميعا ، في أن يقدم الينا من عندك كتاب أو رسول ، إلى أن طال الأمر علينا ، فنهضنا بأنفسنا لاستبانة الخبر ، فنادانا القوم من أعلى السور ، بأنهم جندك وأنك أنت الذي بعثتهم ، وسألونا أن نكتب إليك لتعريفنا حقيقة الأمر وجلية الخبر ، فصرفنا عند ذلك عساكرنا عنهم ، وأمرنا البربر بمسالمتهم ، إلى أن يرد كتابك علينا ، مما تطلبه منا ورغبة عندنا وأمرنا بأمرك يا سيدنا نطعه ، فإنما نحن قوادك وعبيدك ، وأنصارك على من ناوءك وأولى الناس بتأييدك وحماية سلطانك ، فارم بنا حيث شئت ، وناهض بنا من أردت ، واندبنا لما قصدت ، تنل نصحا وكفاية ، ومختبر ببصرة وصاغية ، نرجو بها قضاء حقك ، ونيل الخطوة لديك ، وأتبنا الشرف الذي تبقا لنا ولاعقابنا بعدنا إن شاء الله تعالى » (1) .

---

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة رقم ، 115 ، 116 .

ضميمة رقم (3)

رسالة وجهها الزعيم الزناتي محمد بن خزر ، إلى الخليفة الناصر لدين الله سنة 320 هـ / 932 م ، يخبره فيها بتغيير مقر إقامته إلى الساحل ، حتى يقترب من الشواطىء الأندلسية ، ليسهل عليه تلقي الامدادات والمساعدات العسكرية والاقتصادية العاجلة ، وتتضمن أيضا أعماله الحربية ضد الفواطم ، وأنصارهم ، وانحياش أخيه فلفل إلى طاعة المهدي الفاطمي ، جاء فيها ما يلي :

« فإن كتابي أبقى الله أمير المؤمنين ، من بلد الساحل من مدينة « سيفا » (1) المشهورة بمدينة العلويين ، وهي مدينة حصينة أولية متوسطة للمراسي ، التي تقابل مراسي الأندلس ، وهي منتظمة بها وقريبة منها بغربي « تاهرت » ، دار الفاسقين وقريبة منها ، بينها وبينها ثلاثة أيام بينها وبين المراسي أقل من يوم ، وإنما ذلك بعد انتقالي من بلد والقوة بالاهل والولد ، والأصحاب والحشم ، والعبيد والموالي واهل ولايتنا وصنوف رعيتنا ، وضروب أهل طاعتنا ، والخاصة والعامة لدينا ، انتقلنا اليها وجماعة من قبلنا ، ولم يجد له بعدنا أحدا من مذكور ، أنصارنا وجماعة فرساننا ووجوه عشيرتنا ، فهم معنا وبين أيدينا ، لم ينحل لنا نظام ، ولا دخلتنا فرقة ، بل جميعا مستعدون بدعوتك ، ومعتصمون بطاعتك ، ناصحون لك ، محبون لأيامك ودولتك المباركة التي من تمسك بها ، كان له الأمن والسلامة ، في دنياه واخراه ، ومن صد عنها ، وابتغى سبيل غيرها ، نزل به الذل والصغار ، وقاربه الخزي والهوان ، والذي أردت علمه ، أبقاك الله من خبر خروجنا عن البلد ، الذي كنا نحله ، وسبب انتقالنا عنه ، فإنه لم يخرجنا عنه خصاصة ، ولا عجبتنا مدلة ، ولا تخوف ولا خزية ، ولا تغير حال ولا شدة ،وإنما خرجنا عنه بفضل الله ، أحببنا الدنو منك ، والتنهم لك ، لما نحن عليه من حسن الطوية لك ، وصدق النية فيك ، ومحض المودة لك ، وجميع من تعلق بك وانتسب إليك ، وذلك أنا كنا عن أفقك قبل اليوم ، نازحين وعن موصلتك شاحطين ، لا سواك والتنبيء بيننا على شحط الدار ، بعد الشقة ، مما لا يقصر يدى الهمة بيننا ، على شحط الدار ، وبحر الشقة مما لا يقصر يدى الهمة ، حز الرمي بهمته ولا يردد العزيمة عن انقاذ عزيمته ، ولا بد لقدر الله تعالى من نفاذه ، ولعزائم

(1) لم أقف على إسم لهذه المدينة .

قضيته من تمام ، وذلك أنا فطرنا أعزك الله بطاعته ، في أمرنا ، إذ لم تمكنا مواصلتك والتعلق بأسبابك ، إلا بالدنو منك والمجاورة ، ذلك والبعاد عن بعدك فأجمعنا الانتقال بالكيلة إلى أطراف اعمالنا ، وحواشي كورنا من نحو المراسي ، المنتظمة بجزيرة الأندلس التي وصفنا لك خبرها ، فلما وردنا البلد بالأهل والولد ، أخذنا في جمع العدد لإقامة الولد ، بتثقيف الفوج من أهل المعصية ، الذين كانوا لليهودي مشائعين لأمره مراهنين ، فحشدنا جميع القبائل التي بإزائنا وكل من اعتصم بطاعتنا ، وتمسك بأسبابنا فأخذنا رهائنهم بالمبايعة لك ، والافتتاح باسمك في الخطبة ، في جميع أهل الساحل اليك ، وأقبل الناس إلينا من كل جهة فزعين مرعوبين خائفين ، على أنفسهم طالبين تسكن دهمائهم وحقن دمائهم ، مستجيبين لدعوتك ، والجين في طاعتك معترفين بتقديمنا قديما عليهم وأمرتنا فيهم ، وولايتنا قديما ، على جميع لسان البربرية ، حيث وأين كانوا من نسل زناتة خاصة ، وغيرهم عامة أولأبائنا من قديم الزمان ، ولأعقابنا من بعد حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وذلك ببركة أمير المؤمنين ، ودولة أبائه الأبرار ، والخلائف الطيبين رضي الله عنهم أجمعين ، ونصر في القيامة وجوههم ، فهم الذين لم تزل والقلوب عليهم متآلفة ، والجماعة بهم راضية ، فأنا الآن يا سيدي جاد مجد مستمر مواظب في تقويم أود أهل المعصية وتثقيف العوج ، من جميع أهل العدوة المدبر منهم والمقبل ، وحمل المطيع على المعاصي ، حتى يفتح الله على أمير المؤمنين مشارق الأرض ومغاربها ، وسهلها وأوعارها وبراريها وبحارها بنا ، وعلى أيدينا ، وتتصل طاعته إن شاء الله ، إلى أقصى العراق ، ويرث خلافة آبائه الطيبين الأبرار الأكرمين إن شاء الله ، وبه نستعين ، على ما يتولى وأياه نستحفظ ، ونستلقي لا إله إلا هو ربي العزيز العظيم ، وها نحن يا سيدنا أعزك الله عازمون ، والعزيمة لله على النهوض إلى عدوة السوء « تاهرت » وما هنالك لاغتيالها ومحاصرة الفاسقين بها ، والتغيير عليهم ، وقطع المرافق عنهم ، وحل عرى اليهودي منها ، وابعاد وجهه عنها ، وهي كما بلغك من وعورتها وصعوبتها وشموخ أجبلها ، وأشب شعارها ، والبرابر من قلة النصر ، ومحاصرة المرافق ، ومساورة المعاقل ، ومكايدة الحصون ، والجبل عليها ، بحيث تعلمه من العجز عن ذلك ، والقصور عن رومه ، ولا يقوم هذا الشأن إلا العرب ، أو ذوي الحنكة المحتضرمين أصحاب الأسلحة الشائكة والنشاب والعدة ، أهل الاقتدار على تشييد البناء ، وما يصلح لنكاية الأعداء ، فإن سيدي أمير المؤمنين ، أن يقوى عبده الساعي في دولته ، بأمنه من ذلك كله ، بالذي لنا فيه صلاحا ،

ولسعينا نجاحا ، مما يكون له أوفق ، ومنا أوفق ، من العدة وأصناف الأسلحة والنشاب والآلة والرماة ، وبعض من يحكم سياسة محاصرة الحصون ، وتكمل حال العساكر الكبار والثقال ، فإن عندنا الكماة ذوي عدة وعدد ، وبأنه وجد من صنوف العشائر وضروب العساكر ، الحماة الكفاة الأبطال الكماة ، قد نهرناهم لتقليص أطراف اليهودي من « تاهرت » وفصم عراه منها ، وابعاد رجسه عنها ، ثم يكون الصمد بعد ذلك ما وراها ، من مدائن اليهودي وأمصاره ومعاقله ، وصباحيه ، وقصوره وبراره ، وكوره وقصي بلاده ، حتى يقطع الله أمره ، ويصرم مدنه بحوله وقوته ، والذي أردته علمه أغرب الله من خبر أخي فلفل ، هداه الله في حسده لنا ، وبغيه علينا ، وسوء سيرته وقفل ضميره وسريرته ، الذي ألبسه الله رداءها عما استتب من وقعه ، وذلك أنه رحل عنا من غير إذن منا ولا مطالعة ، ولا مشاورة لنا ، وزعم عند عزمه على الرحيل إنه يلتمس خصب المرعى بمنابع الماشية ، فأبعد النجعة ، ولم يرابط في السباسب والقفار ، والأودية متنكبا للحواضر والسبل المسلوكة ، حتى ورد أطراف أعمال اليهودي المبدل للدين ، الخارج عن ملة المسلمين ، فنزع اليه هووولده ، وشرذمة معه ممن تبعه وشافعه في أمره وصحبته ، في غوايته ، فلما وردوا على اليهودي ، تلقاهم بالسرور والحبور ، ومناهم بالكثير ، وزخرف لهم قوله بالغرور ، فصار منهم كأسراب يخلفه من رجاه ، ويغر من يراه ، تحتسبه الظمآن ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الله عنده ، فوفاه حسابه الآية ، فارتهنوا عنده أهاليهم وأولادهم ، بعد أن أخلف الله ظنهم فيه ، وخيب رجاءهم ، وصدروا عنه على خروجهم إلى نحو بلد الزاب ، إلى القبائل بتلك الأطراف من بني مغراوة خاصة ، ليسمعوا لهم ويطيعوا أمرهم ، فنهم من رحلوا الينا هاربين بأنفسهم وأموالهم ، ومنهم من لم يشتغل بهم ، ولم يحفل بأمرهم ، وذلك لادبار ولد اليهودي (اسماعيل) عنا ونزول نعم الله به على أيدينا ، ولم ينشب أن ورد كتاب اليهودي (عبيد الله المهدي) الينا ، يذكر فيه نزوع الغاوي فلفل أخي اليه ، ورغبته فيما لديه واعترافه بالحق ، ورجوعه عن الباطل ، وحسن قبوله أياه ، وكرم منزلته عنده ، وأعطاه أياه كل ما سأله منه ، وأمله لديه ، ويحظى على امتثال فعله ، ويندبني إلى الرجوع اليه ، ويرغبني في الولوج في طاعته ، والتمسك في سنته ، ويمنيني على ذلك الكثير ، ويعدني بالجزيل ، ويقول بأنه لا يحاول مني ذهبا ولا فضة ، ولا يكلفني نائبة غير الافتتاح باسمه ، والخطبة في المنابر عليه ، وصرف السكة بذكره ، وارسال احد ولدي اليه ، أو بعض إخوتي ليشيع

في الناس أني قد رجعت اليه ، وصرت في طاعته ، وكل ذلك لم أحفل بكتابه ، وأمرت بجوابه ، لما نحن عليه من البنية مزارنا ، والاستئثار ببيعتنا ، لما قد بلوناه من أفكه وبغيه ، وعلمنا من كفره ولحده وقلة وفائه ، ونقضه لعهده ، فنحن أبدك الله لا نقصر في كتابته ، ولأنني في قطيعته وحربه ، وادخال النصر عليه ، أو انتقاض أطرافه واقتناص أهل طاعته ، حتى ركن الله صيته ويقطع دابره بحوله وقوته ، إن شاء الله تعالى » (1) .

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة رقم 120 ، 121 ، 122

obeikandl.com

ضميمة رقم (4)

رسالة من الناصر لدين الله ، إلى حليفه وصفيه محمد بن خزر زعيم زناتة يطلعه فيها عن عزمه لاسترداد ملك أجداده في المشرق ويأمره بالتأهب واستنفار القبائل لذلك ، جاء فيها ما يلي :

« كان الناصر لدين الله ، لا يكاد يخلي كتبه إلى هؤلاء الأمراء،المؤلفين له من أملاك البرابرة بأرض العدوة ، من ذكر طلبه لسلط المشرق وقيامه في ارجاع ما سلب أباؤه منه ، وتحمله في الجواز إلى ما هنالك (للمقار) عنه وذكر تظاهر الروايات له ، واجماع الآثار على أنه المرتجع له ، والتحلية لهؤلاء الملوك بأنهم أنصاره عليه ، ومقدمته في طلبه ومعامزيّة فخره ، ومنزلة ذكره بقربهم ذلك ، ومثله ولضربهم على عداوة لعدائه من بني عبيد الله ملوك الشيعة ، الذين على ديار افريقية وتخليهم على حرب أصحابهم ، والتخيف لأعمالهم فينال من ذلك ما يبغيه ، ويغبهم مع ذلك بهدايا وصلاته ، وخلعه والطافه ، يركن بصائرهم في اعتقاد موالاته ، والتزام طاعته ، فينفق في هذا الباب الأموال الحشيمة ، ويحشم له الحاشم الثقيلة ، مما تناول به محمد بن خزر ، عميد أولئك المتألقين من الأمراء بالعدوة في هذا المعنى ، فصل ضمنه جواب كتاب له نسخته :

« وان أمير المؤمنين لما تفرغ باله ،وانقضت بالأندلس أشغاله ، واكتملت له في أعدائه أماله ، ولم يبق عليه فيها بقية يعانيها ، ولا مجال يستعمل رجاله فيها ، صرف عزيمته ، وأمال همته ، إلى ما بين يديه من أسباب المشرق ، وطلب ما لم يزل لأوله حقا وله ميراثا ، مع ما ينويه ويرجو أن يجزي الله أكرومته على يديه ، من أحياء الدين ، بنظره وأماته البديع تقويم منهاجه وحماية بيت الله الحرام ، المنتكثة حرمته ، المعظمة المسلوب ركنه ، المغلوب أهله ، المطلة مناسكة ومشاعره ، وأن يجعل الله لأمير المؤمنين حاصرا له ، يطلب الجاني عليه بجبايته فيه ، مجرد من يخلق السنن ما درس ، ويظهر منها ما انطمس ، وعلى الله يتوكل أمير المؤمنين في جميع ما نواه ، وبه يرجو إدراك ما رجاه ، إن شاء الله ، وقد أمر أمير المؤمنين بالتأهب والاستعداد ، بالرجال والأجناد ، وبجنود الأماة وانتقاء الرماة وتضعيف العدد ، وتكثير العدة وتجديد الآلات ، وتكميل الأدوات والنظر في الجان ، الحشود بالجنود لميقات معلوم ، ووقت معدود ، وأن يستكثر من جمع المراكب إلى ما قد قام منها ، ويتوسع في

عددها ، بتجميل الأساطيل المؤيدة في وقت إجازتها ، وعند مكان البحر ، لها السير طائفة منها نحو سبتة ، وأخرى إلى جهة وهران ، فمن تخيره من وجوه قواده ، واعلام رجاله وصميم حشمه وأبطاله ، أهل البأس والصبر وحسن البلاء ، وقوة الجلد ، الثارين أنفسهم في مرضاة أمير المؤمنين ، والطالبين بحقه والمستنصرين في نكاية عدوه ، ذوي الشاه الخالصة ، والبصائر الصادقة والبسالة القائمة ، كل بهول أخرهم قرن يناوله ولا يثنى مغنهم ، جيش يقابله كالليوث في اقبالها والبتايين التهامها ، قد مرستهم الحروب ومرسوها ، وساستهم الخطوب وساسوها ، فهي أسهم ، وهم بنوها ، فاستعد أسعد الله ، وتأهب وشمر وتليب ، وكن على انتظار ما يوافيك من أمير المؤمنين ، لتكون صدر القواد كما أنت صدر أولى الوداد ، ومتقدما للرجال كما أنت في صدر العال ، فإن أمير المؤمنين يرجو الله عونه وعليه توكله ، أن يكون قد قرب الوقت ، الذي قد رجوت العوز به ، والإدراك له وبلوغ الأمل منه ، إن شاء الله عز وجل » (1) .

(1) ابن حيان : المقتبس ، ورقة رقم 122 ، 123

ضميمة رقم (5)

وبعث الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله ، برسالة مماثلة إلى صفيه المغربي الزعيم المكناسي ، موسى بن أبي العافية ، في نفس السنة أي سنة (320 هـ / 931 م) ، يأمره هو الآخر بالتأهب ، لاستئصال شأفة الفواطم من افريقية ، وقطع دابر العباسيين في المشرق ، وتخليص البيت من عبث القرامطة ، جاء فيها ما يلي :

« وذلك مما شد أمير المؤمنين عزما ، وشغل قلبه عليه غيضا وغما ، حديث الحادث الجلل والخطب المعضل ، النازل في البيت الله الحرام وما كان وما صار اليه من الاغفال له ، والاضاعة لدواره ، حتى غشيهم أهل الكفر في محل الأمن ، فقتلوهم أبرح قتل بغناء ، وهتك البيت الحرام واستلب ما فيه ، وحدث فيه ما لم يعرف في الأولين ، ولا يزل في الآخرين ، وهو الأمر الفادح الكارث ، الذي لا يحل لأمير المؤمنين ترك الغضب منه ، والسعي في الانتصار له والقيام في الذب عليه ، والتقرب إلى الله بحماية البيت العتيق ، وتعظيمه وتهديد من الله ، والله على الانتصار منهم معين لغيرنا إن شاء الله .

وقد صرت عن أمير المؤمنين بخالص الوعد ، وصادق الطاعة ، معدودا في عدة الذين يعتمد عليهم ، وأنصاره الذين يتدارك في المهمات على نهضتهم ، فأنت بأخص المنازل عنده في الاستعداد بك ، والرجاء لحمد مقامك ، وحسن نظرك وتدبيرك فيما يجردك أمير المؤمنين له ، وينهضك نحوه ويجعلك قائده ، في جميع الغرب قائما باسمه ناهضا بدعوته ، معينا على احياء الدين ، واماتة الفاسقين وتغيير آثار الضالين ، وتقويم زيغ المفسدين ، لا يرغب أمير المؤمنين من قبلك ، ولا من قبل غيرك ، من أولياء الطاعة وأنصار الدولة ، ما لا يحتبي ولا مرغوبا يقتنى ، ولا مدائن يصطفى ، بل رغبة أمير المؤمنين فيما صرف همته اليه ، ومد طرفه نحوه ، وشغل قلبه به ، من طلب حقه وارتجاع ميراثه ، والسعي لملك آبائه الخلفاء ، وهمه افريقية فما دانها والحرم وما انتصل به ، ومصر والشام وما خلفها ، فيرد الله به الدولة ، ويكشف الجولة ، ويحي الآثار السالفة الفصل ، ويعيد الدين على يديه جديدا غضا ، والحق مما حقا ، ويجعل كل ذي بدعة طريدا. مقضي ينهض بأمير المؤمنين إلى ذلك نفس تواقة ، إلى ما هولها حق واجب ، وفرض لا رب مع ما يسوقها إلى ذلك من الآثار المشهورة ، والروايات المذكورة ، التي قد ظهر كثيرا منها ، وعلى الله تتميم باقيها إن شاء الله ،

obeikandl.com

فقد أخذ أمير المؤمنين لذلك ، بأشد العزم ، وأثبت الخطر برا وبحرا عاملا على مجاهدة الملحدين ، ومنازلة الفاسقين حتى ينتقم الله من الظالمين ، ويأخذ بثأره من القوم المجرمين إن شاء الله . فانهض أيدك الله بعزائم أمرك ، ونوافد رأيك ، وشدة بأسك وصيال رجالك ، وتقدم متوسعا فيما بين يديك ، ولا يقنعك ما أنت ... (1) ، فليس يقنع به أمير المؤمنين للأبل يستغل لك الكثير ، وسعى في جانبك الخطير بكل ما توسعت فيه ، وفتح الله عليك به كان ولولدك ، ولعقبك اقطاعا من أمير المؤمنين ، وتوسعا عليك ومكافأة لمحبتك ، لا تنبث لك ولا لأحد من ولدك وعقبك عند أمير المؤمنين حال ، إلا بأحسن منها وأشرف وأفضل وأعلى وأنبل ، تلك بصيرة أمير المؤمنين في أوليائه الداخلين في طاعته ، القائمين بإمامته المجاهدين لعدوه ، الموطدين لسلطانه ، واستألف الناس على طلعة أمير المؤمنين وجامعهم عليها ، ودعاهم اليها ورغبهم فيها ، فإن طاعته مقرونة برضى الله تعالى ، إذ هو القائم بالحق الناصر لدين الله ، المحتمل على هدي الخلفاء الراشدين النافي لكل بدعة ، الماحى للضلالة ، المجلى لكل شبهة ، باتباعه هدي وطاعته رضي الله عنه ، لايصدق عنه ولايحيد عنه الا من فارق الحق ، وخالف طريقه وآثر الباطل ودخل طريقه » (2) .

---

(1) بياض

(2) ابن حيان : المقتبس ورقة رقم 124 ، 125

ضميمة رقم (6)

رسالة من موسى بن أبي العافية شيخ مكناسة ، إلى الناصر لدين الله ، يخبره بحملة القائد الشيعي ميسور الخصي ، إلى المغرب الأقصى ، وتصديه لهذه الحملة وقتله العديد من المشارقة وأعوانهم ، وكذلك يخبره بمساعدة الأدارسة لميسور ومساندته وكان ذلك سنة 322 هـ / 933 م ، جاء فيها ما يلي :

« وأما ما أراد سيدي أمير المؤمنين ، ابقاه الله انهاء اليه مما نحن فيه مع المشارقة ، أهلكهم الله ، فإن اللعين أبا القاسم طاغيتهم بعث إلينا غلامه ميسور الخصي ، وعفريته ابن أبي شحمة الكتامي (عامل تاهرت) وغيرهما من قواده في كنف من شيعته داعينا عن حولنا ، من القبائل إلى الدخول في طاعته ، وأعطوهم فجالوا في البلاد ، وثبتوا دعاتهم فتوقف الناس ، ولاذ البرابرة منهم بأوعارهم ومعاقلهم ، فلما يئسوا منهم كاتبوا أهل مدينة « فاس » والطفوا بهم ، ودعوهم إلى الدخول في طاعتهم ، وأعطوهم العهود المغلظة والايمان المؤكدة على أمنهم ، وتقديمهم فاغتر بهم أميرهم « محمد ثعلبة » صاحب مدينة الأندلسيين ، وأحمد بن بكر صاحب مدينة القيرويين ، وقدما علتهم مع وجوه من رجالهما ، فلما صاروا بين يدي الخصي ، غدر بهم فخدعهم فأخذهم . وأخذ جميع من كان معهم ، من دواب وأسلحة ، فلما رأى أهل فاس ما فعله من ذلك توقفوا عنه ، وامتنعوا من ادخاله ، فنكب عنهم ، وطار الينا صامدا ، حتى نزل منا على مسافة ستة أميال ، فأقام في محلته أربعة أيام يكاتبنا فلا نصغي اليه ولا نجيبه ، فمشى نحونا هو وأولئك القواد في عدد عديد ، وقوة قوية ، حتى ضاق بهم بعضا ، وقسموا عسكرهم ، فأتونا من ثلاثة طرق من جهة القبلة والغرب والشرق (فرفضت) (1) الحرب بالمجانق ضحوة النهار فاتصلت إلى بعد العصر ، واتجهنا إلى الأوعار ، وكنا قد كمنا لهم كمينين ، فلما لصقوا بنا ، وقد طمعوا فينا ، خرج الكمين الواحد ، فأثر فيهم ، وصبروا له ، ثم ردفه الكمين الثالث فغاب صبرهم ، وولوا مدبرين ، ومنحنا الله اكتافهم ، فعمل السلاح عمله فيهم ، وأخذ ما أخذه منهم فقتلنا منهم في تلك الردة ، مائة واثنين وعشرين قتيلا ، وأخذنا عامة دوابهم ، وما أدركه العقر منها ، ورجعوا إلى مناخهم بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكان ذلك يوم

---

(1) هكذا جاءت في النص ، ولعلها ظلت .

الخميس لاثني عشر ليلة مضت من شوال منها (أي سنة 322 هـ / 933 م) ، ثم عاودنا يوم الجمعة حربهم وأخذنا جميع عدتهم ، ومن كان يخلف في الأخبية منهم ، فرأينا عساكر عظيمة لا تسقيها المياه ، فثاورونا بالحرب من غدو إلى وقت العصر ، فاستظهرنا عليهم وردعناهم ردعتين عظيمتين وقتلنا خلقا منهم ، وانصرفوا عشاء إلى محلتهم خاسرين مغيظين ، فانصرفوا بعد ذلك عنا ، ولم يحاربونا إلى أن انقلبوا على أدبارهم والحمد لله ، ونحن أبقا الله أمير المؤمنين سيدنا ، في قوة شديدة وعدة عديدة ، وجمع جامع ما تخلف عنا ، أحد من رجال المغرب وأشرافه تمسكا بولايته ، واستنصارا في طاعته ، وكان الأدعياء من قريش الأدارسة ، من أولاد محمد وبني عمهم وأولاد عمر المعروفين ببني « ميالة » . قد مشوا إلى مدينة « أصيلا » ، أيام امتناعنا ، بعسكر المشارقة يكيسوها وينتهزوها فرصة ، فلم يغنهم الله فإنهم لمعة إلى هذه الغاية وقد كنا كتبنا إلى « ابن حزب الله » صاحب « سبتة » يخرج القواعد في المراكب ليحالفوا هؤلاء الأدارسة إلى « بنخساس » وما حولها من ديارهم ويغنموها فرد الينا جوابا يذكر ، أن الأدارسة يعدون للسلطان مظهرون اعتقاد الطاعة ، وأنه بدهم إلا بعد مآمرة فعذرناه ، وعلمنا أين ذهب هؤلاء الأدعياء وهذا كله أعز الله أمير المؤمنين منهم ، دوافع وسكون وبالله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، أن إبراهيم بن إدريس كبيرهم وشريفهم بعسكرهم لعند الخصي ميسور ، ما زال ولا برح إلى هذه الغاية وأن « محمد بن حزب الله » المخدوع كثير الطمأنينة ، لم يحسن تحكم معاملة البرابرة ، فيكن من أمير المؤمنين إليه تبصره ، والله يكشف له عن الضال وبغية المكاره » (1) .

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة رقم ، 137 ، 138 .

ضميمة رقم (7)

كتاب من موسى بن أبي العافية ، إلى الناصر لدين الله كعادته ، مطالعا بأخبار المشارقة الفاطميين ، الذين يعانون من أزمة سياسية حادة ، وهروب الكثير من قواعدهم وفتيانهم إلى المغرب الأقصى ، والانضمام إلى حلفاء الناصر لدين الله ، وكذلك يلتمس منه تحصين مدينة طنجة وشكها بالرجال والعتاد وذلك سنة 323 هـ / 934 م جاء فيها ما يلي :

« ومما أحب أمير المؤمنين سيدي معرفته ، من أخبار المشارقة (فعمهم) (1) الله فإن جيشهم الملتف بالخصي ميسور يسر الله حتفه ، عاود حربنا في هذه الصائفة ، بجد وعزم كذب فيه ظنهم ، وأضعف جندهم ، وصرفهم على أعقابهم ، وبلغهم ما فعله أهل « تاهرت » ، بأبي مالك بن يغمراسن بن أبي شحمة عاملهم (على تاهرت) وما أظهروه من الخلاف عن طاغيتهم أبي القاسم قصمه الله ، ومن حولهم من قبائل البربر ، فجاروا وسقط في أيديهم ، وزاد في خوفهم ما فيه طاغيتهم ، أبو القاسم مع اخوته بالمهدية من الخلاف ، فأفلس الأخابث وتساقط كثير منهم ومن شيعهم علينا (متبرين) (2) منهم ، وهرب طوائف من عسكرهم مستأمنين الينا ، حتى صار الطريق سالكه الينا من عندهم ، بالهاربين من فتيانهم وأولي البأس منهم ، كمكاسة بن ناصر المكناسي أمير الغرب ، ومن قدم بعده من رجال مكناسة ، ولواته وهوارة وزناتة ، وأهل جبل بوجان بني عم داود بن مصالة ، وزواغة وأهل شلف إلى من يعرف منهم في الأسواق بديار المغرب بفاس ، والبصرة ، والمسيلة وبأسواق البربر ، والطائفة التي جازت إلى الأندلس ، وبقي المقطوع ميسور المخذول قطع الله أوصاله ، مع فرقة مع يغمراسن أبي شحمة ، وإلى الله عليه الغمرات ، في جزيرة منقطعة مع شرذمتهما ، من الطوائف التي وردت معهما من المهدية ، لا ظهير لهم ، ولا معين بحمد الله يؤيدهم ما بقي عندهم الأراهط ، نشبوا عندهم من أوربة وقوم يقال لهم « الفاسة » ، ولحاقة وبنو جريد بيت من غمارة لا غير ، وصارت الينا قبائل أهل المغرب بأجمعهم ، من كل مكان حول فاس ، من زواغة ولماية ، ومن درعة ومكناسة

---

(1) هكذا جاءت في النص ولعلها قصمهم

(2) ولعلها فارين .

أهل الجبل ، وجيرانهم نفزة وأهل الظواعن من بني مرزحون وبني مرساع وبني حماية ، وبني برنا (1) من برقازة وبني محمد ومديوهة أهل مدهن ومجراوة أهل ضريس ، وزناتة من بني سسان ، وحملار وبني دهنة ، ومجاصة وبني مسلان ، ومن كان على ملوية وطاع من قبائل بني راسين ، وبني يفرن وبني برناس ، وبني وريمس مطماطة أهل ملوية ، إلى حوزجراوة ابن أبي العيش ، إلى ما أحاط بنا نحن من قبائل البربر ، من مكناسة وأوربة وهوارة وضريسة ونفزة وكرباظة وصاربونة وقاصونة ولواته وسوقانة ، وبني ميسرة أهل فندلاوة وقبائل غيرها ، ولا يسعها كتابنا كلهم داعين بطاعة الله وطاعة أمير المؤمنين مولانا ، فنحن في عدد عديد ، وجمع عتيد ، وقوة قوية والحمد لله . وقد ذكرت لأمير المؤمنين أمر مدينة طنجة ، والفائدة من ضبطها وكبرق القوة التي توالي اخراجها إلى « سبتة » ، اليها وإلى أصيلا أختها ، لأن سبتة قد كفيت مؤونة من يقصدها فلا يصل اليها عدو ، لأن البحر قد أحاط بها والوعر حولها ، قد تكتنفها فالأموال ينفق عليها ، بغير فائدة ، ويأخذها من لا يستحقها ، وأنا عن أمير المؤمنين الكالية في هذه العدوة فلا يدلي من انهاء ما له فيه النصيحة اليه ، ولم أخاطبه إلا بما فيه تريد طاعته وانتشار دعوته ، حتى يصل بالمشرق وميراث سلفه إن شاء الله . ويزاول أمر هؤلاء الأدعياء إلى الحسنيين الأدارسة أولاد محمد وعمر قاتلهم الله ، فإنهم عدة المشارقة في غربنا وهم الذين يرددونهم إلى هذه الغاية ببلدنا ، ويوالون هداياهم ويصلون أيديهم بأيديهم ، فلو نزلت القوة بطنجة وجردت لها العزيمة لسقط ما بأيدي هؤلاء الأدارسة وغيرهم ، ولشغلوا بأنفسهم عن المشارقة ، وأمير المؤمنين أعلى عينا من أن يبصر بهذه الأمور ، ولكن النصيحة له تدعو إلى امحاض الرأي وعلى الله توفيقه » (2) .

---

(1) هكذا جاءت في الأصل

(2) ابن حيان : المقتبس ورقة رقم 145 ، 146 .

ضميمة رقم (8)

رسالة من إبراهيم وأبي العيش ، إبنا إدريس الحسنيين ، إلى الناصر لدين الله ، يخبرانه فيها عن هزيمة موسى بن أبي العافية أمام الجيش الفاطمي ، ولجوئه إلى الصحراء ، ملتمسان المساعدات والإمدادات العسكرية لمقاومة حملة ميسور ، ومجددان له البيعة والطاعة ، ونفيا ما نمي بهم من مساعدة الفواطم . وذلك سنة 323 هـ / 934 م ، جاء فيها ما يلي :

« كتبناه إلى سيدنا أمير المؤمنين ، مما نحن عليه من موالاته ولا محاض وسلامة الضمائر ، من كل شبهة أو مزق في الإخلاص له ، ونحمد نعمته معرفة بحق أمير المؤمنين ، وانقيادا لامامته واعتلاقا بحبله ، بما أظهر الله من دولته وأثار من امامته ، على حين مدها مغربنا ، أطال الله بقاءه ، فهذه الشيعة الرافضة الفادحة في الشريعة المحدقة لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم افتراء منهم على الله تعالى وعلى نبيه (ص) وعلى أهل بيته (الحسنيين) وابتلى الله عباده ، بهم ليعلم من يطيعه منهم وأملى لهم ، يزدادوا إثما ، فاستعجل شرهم ، وآن إلى ما جرت مقادير الله به ، من ظهورهم على موسى بن أبي العافية ، ولي أمير المؤمنين ، وقلعهم له قوادهم (الله) هؤلاء أو طويلا ، واستطالة على المسلمين بما يهيأ لهم ، وما كان من انكشافه عنهم ، ونجاته إلى الرمال والصحاري فرارا منهم ، فعظم البلاء عنده ، وجل الخطب ولله تعالى عواقب الأمور ، ومنه مبدأها لا معقب لحكمه في شيء منها ، وبلغنا أنه نمى إلى سيدي أمير المؤمنين عنا ، أنا توجهنا إلى الفاسق ميسور لا يسر الله أمره ، على أسوأ الوجوه ، ولم يكن ذلك أكرم الله سيدنا أمير المؤمنين إلا عن تقية منه ، ومع ومن له ولنا الأسوة الحسنة في رسول الله (ص) ، فقد دار صفوان بن أمية الجمحي وغيره من المشركين والمنافقين ، حتى أظهر الله دينه وأغلى ذكر نبيه (ص) ، فلا يرتب أمير المؤمنين بطويتنا ، وليجرد عزمه في معونتنا ، فإنه مني فصل رأيه ، أيده الله بإخراج عسكره ، يناهض بنا هذا اللعين ، الذي قد عاث في أرضنا وأي بالعظائم التي لا يحل لأمير المؤمنين تركه يبادرنا إلى قائده « إبن حزب الله (صاحب سبتة) بالرهائن ، التي تكون وثيقة على طاعتنا وأسلمنا اليه مع ذلك رهائن كل من ضوى الينا من البربر ، حتى يقتنع بالتوثقة ، ويبلغ الغاية فإذا اجتمعنا مع الجيش المخرج الينا ، رجونا ألا يلبث لنا عدونا إن شاء الله عز وجل » (1) .

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة رقم 147 ، 148